ساعدت جامعة بغداد على نشره

من تراث العرب والاسلام

الغزالي

فَقيهاً وَفَيلَسوفاً وَمُتَصَوِّفاً

الدكتور حسين أمين
مدرس التاريخ الاسلامي
كلية التربية ـ جامعة بغداد

مطبعة الارشاد ـ بغداد
١٩٦٣/٩/٢٧

بسم الله الرحمن الرحيم

« الله لا إله إلا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون »

الاهـداء

الى كل مفكر عاشق للحرية ،
ورائد للحقيقة ....
وسالك لنهج البحث العلمي ....
اقدم مجهودي المتواضع هذا .

حسين امين

ثبت المواضيع

مقـــدمة الـكتاب

انه لما يبهجني حقا ان اقدم بين يدى القارىء العربى الكريم مجهودى المتواضع هذا عن مفكر من أكابر مفكرى العرب والاسلام ، كان ذا صدى هائل فى الاوساط العلمية فى زمانه وبعد زمانه ، وكان له الى ذلك أثر جد كبير فى الثقافة الاوربية ، حتى لقد قيل : ان الفيسلوف ديكارت ، استوحى فلسفة الشك من كتبه ولا سيما كتاب المنقذ من الضلال ·

وقد نشأ الغزالي على ما هو متعارف عليه ، فقيها واصوليا وفيلسوفا مسلما ، هاجم الفلاسفة وانتقد آراءهم ونظرياتهم ووضع اسس فلسفة جديدة منبثقة من روح الاسلام ومبادئه السامية ، ولقد انعطفت به سبل الحياة وهو فى غمرة من بحوثه الفلسفية العميقة نحو العزلة والشك ، وبالتالى افضت به نحو حياة النسك والتصوف ·

واذ نسهب الحديث عن هذا العلامة الجهبذ ، نجد انفسنا أمام جوانب متباينة عديدة ، كلها تستحق الدرس والبحث والتدقيق ، ولعل ابرز ما يلفت النظر فى سـيرة هـذا العبقرى الفذ ، انه كان مثلا أعلى للعصامية التى شقت طريقها الى أعلى مدارج السمو العلمى والنفسى معا ، كل ذلك عن طريق العلم وترويض النفس ، وقد اجمعت الآراء فى الشرق والغرب على انه كان المدرس الناجح والمربى الناصح ، ويرجع سر نجاحه ، الى منهجه الاكاديمى المنظم فى التفكير واسلوبه العلمى الدقيق ·

والغزالى ، الى جانب ذلك كله شخصية عالمية طبقت شهرتها الآفاق ، ولقد حاولت فى هـذا البحث استقراء نشأته وعُنيت بدراسـة عصره ، وبيئته من جوانب شتى ، ثم أبَنْتُ كيف أختير للتدريس فى المدرسة النظامية ؟ ، وكيف اعتزل منصب التدريس ، هذا لينصرف الى النسك واتباع طريق التصوف مبتغيا السعادة النفسية الكاملة عن هذا السبيل ؟

وان مرحلة الشك عند الغزالى ، لتُعَد من اهم مراحل تطور ذهنيته

الجبارة ، كما تعد من أوسع مظاهر تفكيره الفلسفى الحر ، فحاولت جاهدا ابراز هذا الاتجاه قدر المستطاع مع الالمام بنهجه الفلسفى ، كما اوضحت علاقته بالفلاسفة وهجماته العنيفة عليهم ودحضه لبعض نظرياتهم ٠

ان الغزالى كما هو معروف ، من مشاهير المربين ومن واضعى علم النفس العربى وممن اخصبوا حقـل التربيـة والتعليم بتجـاربهم المجدية واختباراتهم النافعة ٠ لذلك جاء بحثنا لآرائه التربوية قائما على أساس تجريبى واقعى ٠

وقد عقدنا الفصل الخامس والاخير لبحث تراثه العلمى فى الفقه والاصول والاخلاق والفلسفة والتصوف ، والتعرف على أهـم الدراسات العلمية التى عنيت بشخصيته ومؤلفاته ٠

واعقبنا ذلك بملاحق لاخبـار وروايات وردت فى أهـم المخطوطات العربية ، ولبعض البحوث القيمة التى كتبها المعاصرون عن الغزالى ٠

ولست ازعم اننى بمحـاولتى هـذه وفـيت الموضوع حقـه والممت بالجوانب المتعددة لحياة الامام الغزالى ومناحى تفكيره الخصب ، انما اخترت اتجاهات ومظاهر معينة ، اعتقد انها قد تميط اللثام عن حقيقة الرجل ونهج تفكيره ٠

ان هذا البحث ليس اكثر من دراســة لشخصية كانت فى مقـدمة الفقهاء أبدا وفى طليعة الفلاسفة وروّاد التصوف أبدا ٠

وارجو مخلصا ان اكون قد وفقت الى تحقيق بعض ما استهدفت ، فان اصبت فواجب هدتنى العناية الالهية الى انجازه ، وان وقعت فى سهو او خطأ فما انا الا بشر لم يعصمنى الله عز وجل من عثرات السهو والخطأ ، وانى لادعو الله جل وعلا ، ان يوفقنا فى بحوثنا ويبعدنا عن مظان الهوى ، ولى من حسن ظن القارىء وسعة صدره ما يطمعنى بعفوه ان بدا له منى نقص او تقصير ،

والله الموفق الى نهج السداد ؟

المؤلف

تعريف بالغزالي

محمد بن محمد بن احمد الطوسي ، حجة الاسلام الغزالى ، ولد بطوس سنة ٤٥٠ هـ/١٠٥٨ م ، من اعمـال خراسان وكان والده يغزل الصوف ويبيعه فى دكانه بطوس ، وقد تلقن فى أوائل عمره الفقه على رجل متصوف هو احمد بن محمد الراذكانى[١] ، وكان منذ طفولته يمتاز بذكاء حاد واستعداد كبير لتقبل العلم وفهمه ، • قدم ينسابور ولازم امام الحرمين أبا المعالي الجوينى[٢] المتوفى سنة ٤٧٨ هـ/١٠٨٥ م ، وجدّ واجتهد حتى برع فى مواضيع العلم المختلفة ، فانه بدأ بالفقه والخلاف والاصول ، ثم انتقل الى دراسة علم الكلام ومذاهب المخالفين ، ومن هذا اتجه الى الحكمة أى الفلسفة وانتهى الى دراسة التصوف ثم الى ممارستها عملا • وصنف فى كل فن ، كتبا أحسن تأليفها وأجاد وضعها وتنظيمها •

ونال الغزالى حظوة كبيرة من قبل الوزير السلجوقى نظام الملك[٣] لما وجد فيه من غزارة العلم وسعة الفهم وولاه تدريس مدرسته النظامية ببغـداد •

---

(١) احمد الراذكانى : من كبار الفقهاء فى مدينة طوس ، وكان متصوفا متعبدا ، عني بتعليم محمد الغزالى واخيه احمد ، وتفقيههما الفقه الشافعي واصوله •

(٢) الجويني : انظر هامش ص١٣ •

(٣) نظام الملك : الحسن بن على بن اسحاق بن العباس الطوسى ، ولد سنة ٤٠٨ هـ بنوقان احدى مدن طوس ، وتعلم اثناء طفولته على الشيخ الموفق النيسابورى ، ونشأ محبا للعلم ، مبجلا اصحابه ، مقربا اهل التصوف • واظهر كفاءة كبيرة فنال الوزارة زمن السلطان الب ارسلان وولده ملكشاه ومن اشهر اعماله بناؤه المدارس النظامية ، وادارته اعمال البلاد بحكمة وحسن دراية • قتل سنة ٤٨٥هـ •

الفصل الاول

أ ـ حيــــاته ونشــأته
ب ـ عصــر الغــزالى
ح ـ تســـمية الغــزالى



حياته ونشأته

تذكر المصادر التأريخية ان والد الغزالي كان رجلا فقير الحال ولكنه كان مؤمنا صالحا ، كثير التضرع الى الله ويخشى دوما عاقبته ، فتمنى ان ينشيء ولديه نشأة علمية دينية ، ومات وكان الغزالي واخوه احمد لايزالان فى مدارج الطفولة ، فتعهدهما رجل صوفي فقير الحـــال من الاصدقاء الاوفياء لوالدهما ، واصبح هذا الصوفي اشبه بوصى عليهما وصار ينفق على معيشتهما وتربيتهما الى أن نفد ما ترك لهمـــا الوالد . وكانت وصية والدهما لهذا الرجل الصوفي ان يتعلم ولداه الخط الذى كانت امنيته فى الحياة . وقد نفذ الصوفي وصية صاحبه فتعهد الطفلين بالتربية الحسنة واشرف على تعليمهما وتهذيبهما[١] ، ولما ضاقت به الحال ، قال لهمـــا : « إعلما اننى قد انفقت عليكما ما كان لكما ، واما انا فرجل من الفقر والتجريد بحيث لا مال عندى فاواسيكما واصلح حالكما ، فما لكما الا ان تلجآ الى مدرسة فانكما طالبان للفقه فعســـاه يحصـــل لكما مقدار قوتكما » .

درس الغزالى فى بداية حياته فى مدينة طوس ، على الشيخ احمد ابن محمد الراذكانى ثم رحل الى جرجان وتوسع على يد الامام العلامة ابى القاسم الاسماعيلى[٢] ، ويبدو ان دراسة الغزالى فى مدينة جرجان وطوس كانت دراسة قراءة على الاكثر دون الاهتمام بالحفظ ، وقد اورد الشيخ السبكى ، فى طبقـات الشافعية ، القصة التـــالية :ــ « وذلـك ان بعض

(١) السبكى : طبقات الشافعية ص ٤ ص١٠٢

(٢) ابو القاسم الاسماعيلى : اسماعيل بن مسعدة بن اسماعيل بن الامام ابن بكر احمد بن ابراهيم الاسماعيلى الجرجانى ، توفى سنة٤٧٧هـ. ومعظم المؤرخين ينقل انه (ابو نصر الاسماعيلى) والحال ان ابا نصر الاسماعيلى توفى سنة ٤٠٥هـ راجع السبكى حـ٣ ص٣٧ .

العيارين[1] قطعوا الطريق على الغزالى واخذوا جميع مـا معه وحـاول الغزالى ارجاع كتبه ـ التى هاجر فى سبيل علومها ومعرفتها ـ والتى كان يحتفظ بها فى مخلاة معه ، فضحك رئيس العيارين من قوله ، وقال له :ـ كيف عرفت علمها وقد اخذناها منك فتجردت من معرفتها وبقيت بلا علم ؟ وقال الغزالى : ثم امر رئيس العيارين تسليم المخلاة لي • ويروى الغزالى بان لتلك الحادثة اثرها العميق فى نفسه ، وقال :ـ هذا مستنطق انطقه الله ليرشدنى به فى امرى ، فلما وافيت طوس اقبلت على الاشتغال ثلاث سنين حتى حفظت جميع ما علقته وصرت بحيث لو قطع عليّ الطريق لم اتجرد من عملى[2] •

سافر بعد ذلك الغزالى الى نيسابور ووصلها وهو مزود بالعلـم ، ونيسابور من اشهر مدن خراسان ، واشتهرت بعلمائها وادبائها ، وفيها اتصل الامام الغزالى بالاستاذ الـكبير ابى المعـالى عبدالملك الجوينى[3] ، وكان من اشهر واكبر علماء الشريعة الاسلامية فى عصره ، وعرف بامام الحرمين لانه ظل اربع سنوات محترفا التعليم فى مكة والمدينة ، واسس له نظام الملك مدرسته العظيمة فى نيسابور ومن اشهر طلابه ، الغزالى والكيا الهراسي وغيرهما من اعـلام الفقهاء ، وفى نيسابور بـدأ الغزالي يدرس الفقه على استاذه الكبير الجوينى حجة العصر وامامه وقتذاك •

واخذ الغزالى يتحسس فى ذلك الوقت الاختلافات المذهبية والآراء

---

(١) العيارون : جماعة ظهرت فى بغداد منذ القرن الثانى للهجرة وكانت حركتهم وليدة الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية السيئة، وقاموا بأعمال تخريبية فى بغداد ، مستغلين ضعف السلطة وانهيار الوضع السياسى ٠

(٢) السبكى : طبقات الشافعية حـ٤ ص١٠٣ ٠

(٣) المرجع السابق ٠

المتشعبة وطرقها الكثيرة ، كما لمس الحالة السيئة التى وصلت اليها نفوس كثير من الفقهاء ورجال الدين ، الذين اخذوا يتهالكون على لذات الحياة ويتكالبون على متاعها بنهم وجشع ، وصاروا يطرقون شتى الطرق فى سبيل الوصول الى غاياتهم المرجوة وكأنهم يطبقون المبدأ القائل (الغاية تبرر الواسطة) •

وصار الغزالى يدرس المذاهب المختلفة ويتعرف على حسناتها وسيئاتها وكان رائده فى ذلك الوصول الى الحقيقة التى تروى النفس وتنير العقل ، فخاض بحار التفكير وتوغل فى كل مظلمة واقتحم كل مشكلة وورطة ، وتفحص الفرق ليميز بين محق ومبطل ومتسنن ومبتدع ، ودرس الفلسفة ، وما درسها الا لينقذ نفسه من الشكوك التى وقع فيها وليقف على اسرارها ويهتدى الى حقيقتها • ودرس علم الاخلاق فنهج فى تلك الدراسة منهجا دينيا مستمدا من واقع حاله واصول دراسته ونشأته •

كما درس الغزالى علم الكلام وتبحر فيه ، وكانت للغزالى طريقة فى البحث تقوم على دراسة الموضوع مهما كان نوعه وأيا كانت طريقته ، قال الامام الغزالى : « ولم ازل فى عنفوان شبابى منذ راهقت البلوغ وقد أنافت السن الآن على الخمسين ، اقتحم لجة هذا البحر العميق واخوض غمرته خوض الجسور لا خوض الجبان الحذور ، واتوغل فى كل مظلمة وأتهجم على كل مشكلة ، واتقحم كل ورطة ، واتفحص عقيدة كل فرقة ، واكشف اسرار مذهب كل طائفة • لأميِّز بين محق ومبطل ومتسنن ومبتدع لا اغادر باطنيا الا واحب ان اطلع على بطانته ، ولا ظاهريا الا واريد ان اعلم حاصل ظهارته ، ولا فلسفيا الا واتصدى الوقوف على كنه فلسفته ، ولا متكلما الا واجتهد فى الاطلاع على غاية كلامه ومحاولته ، ولا صوفيا الا واحرص على العثور على سر صوفته ، ولا متعبدا الا واترصد

ما يرجع اليه حاصل عبادته ، ولا زنديقا الا واتجسس وراءه للتنبه الى اسباب جرأته في تعطيله وزندقته وقد كان التعطش الى درك الحقائق دأبي من اول امرى وريعان شبابى ، غريزة وفطرة من الله وضعت فى جبلتى لا باختيارى وحيلتى • »[١]

وهذه نظرة موضوعية للمسائل ، ان يدرسها اولا فى اصولها ومنابعها ، وان يضعها فى نسقها المذهبى ، ثم ان يحاول بعد ان يأخذ بها او ان يلفظها ثم يبنى مذهبا معارضا لها • وهذا ما فعل الغزالى ، عرض المفلسفة في مقاصد الفلاسفة ، فقدم لنا مذاهبهم وافكارهم فى صور محايدة، او بمعنى أدق ، أنه روى لنا حكاياتهم بصدق وامانة ، ثم نقض مذاهبهم فى تهافت الفلاسفة ، وفعل هذا ايضا مع المذاهب الباطنية ، قدم لنا مذاهبهم وافكارهم ثم كتب ينقدها • وقد لاحظ الباحثون ان الغزالى ، قد اقام مذاهب الخصوم فى صورة تركيبية رائعة ، لم يتوصل اصحابها اليها ، وقد اخذ عليه هذا ، ولكن الرجل لم يهتم ، ان رائد الحقيقة لا يخشى الخصم، طالما كانت بيده الحجة القوية والاصالة الفكرية النادرة والموهبة الخلاقة المبدعة ، ووضع الغرض ثم وضع نقيض الغرض او ضده ، منهج علمى حديث •

---

(١) المنقذ : ص ٥٧ـ٥٨



عصـــر الغـــزالى

ان العصر الذى نشأ فيه الغزالى كان عصرا مضطربا فقد مالت الخلافة العباسية الى الضعف والانحلال ، وغدا الخلفاء ألاعيب بأيدى الامراء والقواد ، يرفعون خليفة وينصبون من يشاؤون غيره ، ولم يبق للخليفة سوى الاسم والابهة • وانتشر الدعاة الذين كثروا فى الامصار ، كما انتشر الزعماء الجشعون الذين كانوا يتكالبون على السلطة وزادوا فى ضعف كيان الدولة السياسى ، وكانت لكثرة الافكار وحملة الآراء المختلفة، من معتزلة يرفضون سلطة السلف ويتكلون على سلطة العقل المجرد ، واسماعيلية كانت تحمل لواء المعارضة للحكم القائم وقتذاك ، ومذاهب فلسفية متعددة كان لها اثرها البعيد فى زيادة الفوضى ، فوضى شاملة وابتعاد عن مفهوم القرآن وشريعته ، وساد الناس تشاؤم ويأس ، واضطراب فكرى الى جانب الاضطراب السياسى ، نزاع حاد عنيف بين الفرق المختلفة والطوائف المتعددة من حنابلة وشيعة وشافعية وحنفية وقد حدثت وقائع دامية بين هؤلاء ، وكانت الضغائن والعداوات موجودة بين رجال الدين ، اذ كانت تقوم بينهم فى ذلك الحين المشاحنات والخصومات بسبب اختلاف مذاهبهم ، ومن صور ذلك التشاحن ان السلطان طغرلبك وقف بنيسابور سنة ٤٤٥ هـ/١٠٥٣ م على مقالة لابى الحسن الاشعرى ، فما ارتضاها ، وأمر بلعن الاشعرى ، وقد تضايق من هذا الامر الشيخ ابو القاسم القشيرى مؤلف الرسالة القشيرية فى التصوف والصوفية ، وانبرى للسلطان يحاول اقناعه بان الاشعرى امام فى الحديث ومتكلم فى اصول الدين على طريقة اهل السنة ، الا ان السلطان اصر على قوله ، وقال : ان الاشعرى عندى مبتدع ، ويبدو ان وزير السلطان ، منصور بن محمد الكندرى ، هو الذى

رغب للسلطان ، لعن الاشعرى والحـاق الاذى بأعيان الاشـاعرة ونفى بعضهم ، أما انتصارا لمذهبه الذى لم نجد تصريحا بحقيقته ، فان السبكى وصفه بالتشيع والكرامية معا ، والجمع بينهما محال عقلا ونقلا لاختلافهما ، وأما عداوة للمرشحين الى الوزارة من الاشعرية كأبى سهل بن الموفق النيسابورى والتنافس على المنصب من الامور المعروفة ، واما ميلا الى معتزلة الحنفية ، قال السبكي : واستعان عبدالملك الكندرى بالمعتزلة الذين زعموا انهم يقلدون مذهب أبى حنيفة واشربوا فى قلوبهم فضائح القدريةواتخذوا التمذهب بالمذهب الحنفى سياجا عليه فحسنوا للسلطان طغرلبك الازدراء بمذهب الشافعى عموما وبالاشعرية خصوصا .

ان مقاومة الاشعرية قد بدأت مع قيام الدولة السلجوقية ففى سنة ٤٣٦ هـ/١٠٤٤ م حصل فى خراسان استفتاء يتعلق بأمر الشيخ الحسن الاشعرى وقد دافع عن الاشعرى كبار رجال الشافعية امثال الامام القشيرى وامام الحرمين عبدالملك الجوينى وبينوا ان الاشعرى كان اماما مناصحاب الحديث ومتكلما فى اصول الدين عـلى طريقـة اهل السنة ومنـاضلا المخالفين من اهل الزيغ والبدع وحربا على المعتزلة وغيرهم ، فمن طعن فيه أو قدح فيه أو لعنه فقد بسط لسان السوء فى جميع اهل السنة .

وقد جرى استفتاء آخر ببغداد ، وكان نص السؤال : ما قول السادة، الائمة الاجلة فى قوم اجتمعوا على لعن فرقة الاشعرى وتكفيرهم ومـا الذى يجب عليهم ؟.. وكان جواب القاضى الدامغانى الحنفى : من لعنهم وكفرهم فقد ابتدع وارتكب ما لا يجوز . وكتب الشيخ ابو اسـحاق الشيرازى ، : الاشعرية اعيان اهل السنة وانصار الشريعة ، وانتصبوا للرد على المبتدعة من القدرية والرافضة وغيرهم فمن طعن فيهم فقد طعن اهل السنة .

وكانت المناوشات بين الحنابلة والاشعرية شديدة ووقعت بينالطرفين

حوادث دامية كثيرة واستمرت هذه الحوادث حتى بعد تأسيس المدرسة النظامية ، فان السلطان مسعود السلجوقى ، كان يميل الى الحنفيةويحاول الايقاع بالاشعرية ، وقد تعمد باحضار فقيه حنفى فى سنة ٥٣٨هـ/١١٤٣م فى جامع القصر ، واخذ يلعن الاشعرية ، فمـال اليه الحنابلة كمـا أمر السلطان مسعود بمحو اسم الاشعرى من باب المدرسة النظامية وكتب عليه : اسم الشافعى .

المشكلة التى واجهت الغزالى ، هى ابتعاد جمهور العلماء عن روح الاسلام ، كان هناك فقه فقط ، ففقد الاسلام فى نظره روحه الحقيقية فأراد ان يعنى بمفاهيم الفقه ، والعلوم الاسلامية ، فكتب احياء علوم الدين ، وساد الفقه ، وبخاصة الفقه الحنفى القائم على الحيل الشرعية ، وابتعد الفقهاء عن الفكرة الاخلاقية ـ وبل فكرة الجزاء الاخروى ، فوجد ان لا بد من العودة الى الكتاب والسنة ، وفى هذه العودة عانى التصوف وتجربته الذاتية العميقة .

ومن مميزات عصر الغزالى ، قيام الحروب الصليبية ، تلك الحروب التى كان لها الاثر الكبير فى الاقطار والشعوب الاسلامية ، اذ اشتبك نصارى الغرب مع المسلمين فى حروب دامية استمرت قرنين من الزمان ، اشترك فيها السلاجقة وبعض دول الاتابكة ، والايوبيون والمماليك فى مصر، وقد استولى الصليبيون على اجزاء مهمة فى الاراضى المقدسة ، واستحوذوا على معظم المدن الواقعـة فى الاناضول والشـام واسسوا امـارات سميت بالامارات اللاتينية ، منها امارة الرها وامارة انطاكية وامارة طرابلس وامارة بيت المقدس ، وكان الصليبيون فى حروبهم واحتلالهم للمدن يرتكبون فضائح لا ترتضيها الانسانية وخاصة عند فتحهم لبيت المقدس . وقد هب العالم الاسلامى للدفاع عن حيـاض الوطن والذود عن حرمـة الدين الاسلامى ، وظهرت شخصيات بارزة كبيرة كتب لها التأريخ مجدا بحروف

من نور وكان من ابرزهم نورالدين محمود بن زنكي وصلاح الدين الايوبي •

أما عصر الغزالي العلمي ، فانه يمتاز بكثرة العلماء والفقهاء وكذلك بتأسيس المدارس النظامية ذات المناهج المرسومة والوقوف المعلومة[1] ، وكان لهذه المدارس الاثر الكبير في خدمة العلم والثقافة ، ولا يفوتنا ان بعض العلماء في هذا العصر كانوا تحت تأثير الامراء والسلاطين ، يأتمرون بتوجيهات وتوصيات الحكام ، كما امتاز العصر بظهور العلماء الامجاد امثال امام الحرمين ، أبي المعالي الجويني[2] ، والامام ابي اسحق الشيرازي[3] ، كما كان لتنافس الامراء واندفاعهم الى فتح المدارس بعامل الدفاع عن الرأي والعقيدة حينا وبعامل المنافسة حينا آخر ، كان له أثره الكبير في نشر الثقافة والعلم •

---

(١) المدارس النظامية : اسس نظام الملك الوزير السلجوقي عدة مدارس في العالم الاسلامي في البصرة وبلخ ومرور وآمل والموصل ونيسابور وهراة واصبهان وبغداد وكانت من اشهر تلك المدارس وأوسعها « المدرسة النظامية » ببغداد والتي باشر ببنائها سنة ٤٥٧ هـ وبوشر التدريس فيها سنة ٤٥٩ هـ •

(٢) عبدالملك بن عبدالله بن يوسف محمد الجويني ، ابو المعالي ،الملقب بامام الحرمين ، ولد في جوين من نواحي نيسابور سنة ٤١٩ هـ ورحل الى بغداد ، وجاور في مكة اربع سنوات وذهب الى المدينة المنورة فافتى ودرس ، ثم عاد الى نيسابور ، فبنى له نظام الملك المدرسة النظامية فيها ، وصار يدرس بها ويحضر دروسه كبار العلماء ، له مصنفات عديدة من اشهرها « العقيدة النظامية في الاركان الاسلامية » ، « والارشاد » وله كتب خطية عديدة من اهمها « البرهان » في اصول اللغة « ونهاية المطلب ودراية المذهب » ، وكان من ائمة الشافعية توفي سنة ٤٧٨هـ ١٠٨٥ م •

(٣) الشيرازي : من اشهر فقهاء الشافعية ، ولد في فيروز آباد «بفارس» وانتقل الى شيراز فقرأ على علمائها ثم سافر الى البصرة ومنها الى بغداد سنة ٤١٥هـ ، وبنى له نظام الملك المدرسة النظامية ببغداد سنة

ومن مميزات هذا العصر ظهور حركة الباطنية بشكل خطير ، وكان الحسن الصباح[1] ، هو الرئيس الاعلى لهذه الجماعة ، وكانت الباطنية تمثل الجانب السياسي المعارض للخلافة العباسية ، وقد استعانت الخلافة بالغزالي أن يكتب ردا على تعاليم هؤلاء ، بتصنيف كتاب يكشف عن حقيقة مذهبهم وافكارهم ، ونشر الغزالي كتابه المشهور ـ فضائح الباطنية[2] ـ والذي اوضح فيه رأيه عن هذه الفرقة المعروفة .

وتميز عصر الغزالي بانتشار الصوفية ، وما الصوفية الا امتداد لحياة الزهد والتقشف الذي تميز به عصر الصحابة ، ونشأ في هذا العهد المبكر طائفة من زهاد الصحابة ، نأوا عن فتن الدنيا المظلمة امثال الامام علي (ع) وسلمان الفارسي وأبي ذر الغفاري وحذيفة بن اليمان وغيرهم من الزهاد ، وظهر بعدهم جماعة لهم نفس الاتجاه يطلق عليهم الزهاد والنساك والبكاؤون

---

٤٥٩ هـ واشتهر بقوة الحجة في الجدل والمناظرة ، درّس في النظامية من اشهر تصانيفه « التنبيه » و « المهذب » في الفقه و « طبقات الفقهاء » و « اللمع » في اصول الفقه ، توفي ببغداد سنة ٤٧٦ هـ/١٠٨٣ م .

(١) الحسن بن الصباح بن علي الاسماعيلي : من الدهاة الشجعان ، كان عالما بالهندسة والفلك والحساب ، قيل انه يماني الاصل ، وكان من اعيان الباطنية ، سافر الى مصر واكرمه الخليفة الفاطمي المستنصر ، وعاد الى الشام وديار بكر والروم ثم رجع الى خراسان واستولى على قلعة الموت سنة ٤٨٣ هـ وظل يحارب ويعارض الحكم السلجوقي حتى توفي سنة ٥١٨ هـ ٢٢١٤ م .

(٢) عنوان الكتاب في مخطوط المتحف البريطاني برقم ٧٧٨٢ شرقي « كتاب فضائح الباطنية وفضائل المستظهرية » .
وذكره الغزالي في كتابه المنقذ باسم « المستظهري »
وذكره السبكي في طبقات الشافعية حـ٤ ص١١٦ « المستظهري في الرد على الباطنية »
وذكره ابن العماد في شذرات الذهب حـ٤ ص١٣ « الرد على الباطنية »

والتائبون والنائحون ، وكانوا يعيشون منفردين اول الامر ثم ظهروا في فرقتين ، في الكوفة وفي البصرة على حدود البادية وذلك في النصف الثاني للقرن الثاني الهجرى وهو زمن بدء التصوف ثم صارت بغداد بعد سنة ٢٥٠ هـ/٨٦٤ م مركز التصوف ، وقد ظهرت لمحات التصوف ومبادؤه خلال منازعات عنيفة ولوم متواصل بين احمد بن حنبل[١] والحارث المحاسبي[٢] ، وقد انتشرت حلقات المناظرة في المساجد وهذه الفترةامتازت بدء الخصومات بين الصوفية والفقهاء في محاكمة الحلاج[٣] المشهورة التي انتهت بقتله .

اننا لنرى كيف ظفر الفقه بالتصوف وذلك حين حاكم القاضي ابو عمرو ، الحلاج وافتى بقتله واجمع الفقهاء جميعا علىهذا ، وقتلالحلاج بسيف الشرع ومات وهو ينادى :-

نديمي غير منسوب الى شيء من الحيف
سقاني مثلما يشرب كفعل الضيف بالضيف
فلما فاضت الكاس أتى بالنطع والسيف

---

(١) احمد بن حنبل : احمد بن محمد بن حنبل ، ابو عبدالله ، اصله من مرو وكان والده والى سرخس ، ولد ببغداد سنة ١٦٤هـ/٧٨٠ م وطلب العلم ، وامتحن ايام المعتصم حيث سجن ثمانية وعشرين شهرا لامتناعه عن القول في خلق القرآن . توفى سنة ٢٤١هـ/ ٨٥٥ م .

(٢) المحاسبي : الحارث بن اسد المحاسبي ، من اكابر الصوفية وكان عالما بالاصول والمعاملات ، ولد ونشأ في البصرة ، ومات في بغداد سنة ٢٤٣هـ/٨٥٧م .

(٣) الحلاج : الحسين بن منصور الحلاج ، ابو مغيث ، من كبار المتعبدين والزهاد اصله من بيضاء فارس ونشأ بواسط وانتقل الى البصرة ، وحج ، ودخل بغداد ثم زار تستر ، اتهم بالكفر والالحاد وقتل سنة ٣٠٩هـ/٩٢٢م .

ثم القى بشهادة التوحيد « حسب الواحد اقرار الواحد » معلنا فى استشهاده الاخير ان حياته الصافية فى اوجها انما تعود الى رحاب الدين الاسلامى الشامل ، الى الفقه والتصوف جميعا ، واستعر النزاع بين الفقه والتصوف ثم انتقل الى نزاع بين الفقه والكلام ، ونرى اوج هذا النزاع لدى القاضى عبدالجبار المعتزلى[1] ، الذى يعلن باسم النظر العقلى كله ، سنيا كان او شيعيا او معتزليا : ان التصوف ليس ابدا طريق الاسلام .

ولم يكن التصوف فى هذه المرحلة طريقا نظريا فقط او عمليا فقط بل جمع بين الاثنين ، كان طريق مجاهدة ومعاناة وفى الوقت نفسه كانت تتقدح عنه نظريات تحدثنا عن ادق ضربات القلب وأرق خاطرات الوجدان ، كانت تعمق فكرة الفقيه الذى كان يرى ، فقط ، الحلال والحرام ، ثم انتهى وبخاصة لدى فقهاء الحيل الشرعية الى ابتعاد عن فكرة الجنة والنار ، فكرة الوعد والوعيد ، وانتهى الى تقنين يراد به اقامة الحياة الانسانية والتخفيف عن الناس عناء التكاليف الشرعية ، لم يقبل التصوف هذا واراد ان يعود الى فكرة الضمير ثم انتهى خلال تطورات متعاقبة لا محل لذكرها هنا ، الى فكرة الحب وانزلق البعض من الصوفية الى افكار وجودية وميتافيزيقية رأيناها كما ذكرنا من قبل حلولا لدى الحلاج كما نراها وحدة وجود لدى غيره ، هنا ظهر الغزالي وبيده الكتاب والسنة ، يرى عيوب الفقه وانحناءه امام رغبات السلاطين وشهوات الناس ويرى التصوف المتغالى الذى تجاوز حدود الله الشرعية وهام هيمانا ميتافيزيقيا يأخذ من آراء خارجة كالافلاطونية المحدثة والمذاهب الثنوية

---

(١) عبدالجبار بن احمد بن عبدالجبار الهمذانى الاسد آبادى ، ابو الحسين ، قاضى اصولى ، كان شيخ المعتزلة فى عصره ، ولى القضاء بالرى ، ومات فيها ، له تصانيف كثيرة منها « تنزيه القرآن عن المطاعن » وكتاب « الامالى » توفى سنة ٤١٥هـ/١٠٢٥م .

الفارسية ومن مذاهب الهنود ، لم تطمئن نفسه الى هذا ولا الى ذاك ، فرأى لا بد من احياء علوم الاسلام فى تصور جديد ينبثق من باطن الاسلام نفسه وكان نتاج هذا كتابه الكبير ـ احياء علوم الدين ـ • ولقد انتشر إحياء علوم الدين فى ارجاء العالم الاسلامى معلنا : البعث الجديد ، ولقد كتب الغزالى فى احياء علوم الدين وبصورة نهائية : الاخلاقية الاسلامية ، ومن الممكن ان نقول : ان المذهب الاخلاقى الاسلامى ساد جميع مجامعنا الاسلامية سنية وغير سنية حتى عهدنا هذا •

ومن مميزات هذا العصر ايضا ، انتشار الفلسفة اليونانية بفرقها المتعددة : الدهرية والطبيعية ، والالهية ، كما صنفهم الغزالى ، ومن المؤكد ان شيخى المذهب الاشعرى من قبل الباقلانى[1] وامام الحرمين قد قاما بنقد المذاهب الفلسفية ولكنهما قد فعلا هذا بشكل جزئى ، كان عملهما الاساس كما قلت نقاش المعتزلة ومجادلتهم ومهاجمة المسيحية واليهودية او نقد المذاهب المسيحية واليهودية ، فترك هذا العمل أى نقاش الفلسفة للغزالى ، كأن الاقدار قد رسمت أن يترك للغزالى نقاش الفلسفة والفلاسفة على اختلاف فرقهم •

وقام الغزالى بنقد العلية ، وقد نقد المسلمون قبل الغزالى هذا المبدأ ، ولكن الغزالى وضع هذا النقد فى صورته الكاملة[2] •

ان منشأ القول بالعلية يستند عند الغزالى الى اننا نشاهد تعاقب

---

(١) محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر ، ابو بكر ، من كبار علماء الكلام ، انتهت اليه رئاسة مذهب الاشاعرة ، ولد فى البصرة سنة ٣٣٨هـ/٩٥٠م وسكن بغداد وتوفى فيها سنة ٤٠٣هـ/١٠١٣م من تآليفه « اعجاز القرآن » و « الانصاف » و « الاستبصار » وغيرها من الكتب المهمة •

(٢) مناهج البحث ص١٢٤ • انظر البحث الذى كتبه الاستاذ الدكتور محمد الهاشمى « العلية والاتفاق فى رأى الغزالى » : مجلة الاستاذ لسنة ١٩٦٢ •

حادثتين ، واحدة بعد الاخرى ، فاصطلحنا على تسمية احداها علة والأخرى معلولا بدون وجود اية رابطة عقلية بين الحادثتين[1] : « الاقتران بين ما يعتقد فى العادة سببا وما يعتقد مسببا ليس ضروريا عندنا بل كل شيئين ليس هذا ذاك ولا ذاك هذا ولا اثبات احدهما متضمن لاثبات الآخر ولا نفيه متضمن لنفى الآخر فليس من ضرورة وجود احدهما وجود الآخر ولا من ضرورة عدم احدهما عدم الآخر مثل الري والشرب والشبع والاكل والاحتراق ولقاء انار والنور وطلوع الشمس والموت وجز الرقبة والشفاء وشرب الدواء واسهال البطن واستعمال المسهل وهلم جرا ، الى كل المشاهدات من المقترنات فى الطب والنجوم والصناعات والحرف وان اقترانها لما سبق من تقدير الله سبحانه يخلقها على التساوق لا لكونه ضروريا فى نفسه غير قابل للفرق ، بل فى المقدور خلق الشبع دون الاكل وخلق الموت دون جز الرقبة وادامة الحياة مع جز الرقبة وهلم جرا ، الى جميع المقترنات وانكر الفلاسفة امكانه وادعوا استحالته . والنظر فى هذه الامور الخارجة عن الحصر يطول ، فلنعين مثالا واحدا وهو الاحتراق فى القطن مثلا مع ملاقاة النار فأنا نجوز وقوع الملاقاة بينهما دون الاحتراق ونجوز حدوث انقلاب القطن رمادا محترقا دون ملاقاة النار وهم ينكرون جوازه » .[2]

والغزالى بنقده للعلية ، يكون قد سبق اشهر العلماء الاوربيين الذين انبروا لهذا الموضوع ونقدوه ، واذكر على سبيل المثال لا الحصر : العالم

(١) مناهج البحث ص١٢٥

(٢) الغزالى : تهافت الفلاسفة ص٢٧٧–٢٧٨ .

مالبرانش[١] وهيوم[٢] . ومن الجدير بالذكر ان الشيخ الباقلانى كان قد سبق الغزالى فى هذا الباب[٣] ، ولكن الغزالى وضعه فى صورة رائعة حية وربطه بالمذهب العام الاسلامى ، ونرى ابن خلدون يعيد كلام الغزالى فى فصل خاص بعلم الكلام فيقول : « ان الحوادث فى العالم ، الكائنات سواء كانت من الذوات أو من الافعال البشرية أو الحيوانية فلا بد لهـا من أسباب متقدمة عليها بها تقع فى مستقر العادة وعنها يتم كونه وكل واحد من هذه الاسباب حادث ايضا فلا بد له من اسباب اخرى ولا تزال تلك الاسباب مرتقيـة حتى تنتهى الى مسبب الاسباب وموجدها وخـالقها سبحانه لا اله الا هو »[٤]

والمغزالى مذهب عقلى لم ينتبه الباحثون اليه من قبل ، وأود ان الفت الانظار اليه ، وضع فيه أيضا باصالة غزالية نادرة ، اصول المذهب الاشعرى فى مجموعة من كتبه اهمها : الاقتصاد فى الاعتقاد ، والجام العوام وقد اعلن فى هذه الكتب وغيرهما ، ان المذهب الاشعرى وهو مذهب التأويل فى رأى اغلب الباحثين هو مذهب السلف ، وان الاشاعرة هـم اتبـاع

(١) مالبرانش : نقولا مالبرانش ولد سنة ١٦٣٨ م ، قسيس من جمعية الاورنوار ، اعجب بالفيلسوف ديكارت وتتلخص فلسفته « ان ما من شيء اذا تأملناه كما ينبغى الا وردنا الى الله » . اول كتبه « البحث عن الحقيقة » . توفى سنة ١٧١٥م .

(٢) هيوم : ديفيد هيوم ١٧١١ ـ ١٧٧٦ م ، من الذين شغفوا الفلسفة الفلسفة منذ صباه ، سافر الى فرانسا ومكث بها ثلاث سنوات عاد بعدها الى انكلترا ، أول منشوراته «كتاب فى الطبيعة الانسانية» ، ويدور تفكير هيوم على تحليل المعرفة كما تبدو للوجدان خالصة من كل اضافة عقلية . له تآليف عديدة اشهرها « التاريخ الطبيعى للدين » .

(٣) راجع كتاب التمهيد للشيخ الباقلانى .

(٤) ابن خلدون : المقدمة ص٣٢١ .

السلف على الحقيقة ، ولعل الابحث المتابعة تكشف لنا عن اصالة وتكامل المذهب العقلى الكلامى فى مذهب الغزالى •

والغزالى فقيه ملأ الدنيا فقها فى الوجيز وغيره وهو اصولى ترك المستصفى وغيره من الكتب التى تعتبر من انفس ما كتب فى هذا الباب •

ولكن فى نهاية الامر ومن اوج مجده العقلى رأى ان الشكوك ما زالت تساوره والقلق والهواجس تنتابه وتملأ عليه جوانحه ، فالفقه ليتنظم امر المسلمين ، والمذهب العقلى لرد غائلة اعداء الدين ، ونقد الفلسفة واقامة فلسفة ، انما هى نقط تفسير عقلى للوجود ، فلا الاول والثانى والثالث ادى به الى يقين مطلق كامل ، وهنا ظهر الشك ، ولهذا يعتبر صاحب النظرية الاولى فى الشك عند المسلمين وسبق بهذا ديكارت[1] ، وقد ذهب كثير من الباحثين الى تأثر ديكارت بالغزالى •

انتشرت الفلسفة ، وقلنا ان الغزالى صنف فرقها : الدهرية والطبيعية والالهية ورأى الغزالى ان تصوراتها العليا كما صورها فلاسفة الاسلام : المشاؤون كالكندى والفارابى وابن سينا مخالفة لتصورات الدين الذى آمن به ، وبطريقته العلمية قدم مذاهبه فى مقاصد الفلاسفة ، ثم تتبعها بالنقد والتجريح والهدم فى تهافت الفلاسفة واعلن تكفير اصحابها باسم الاسلام، ولم تقم للفلسفة قائمة بعده ، بالرغم من المحاولات العنيفة التى حاولها فيلسوف قرطبة ابن رشد[2] •

(١) ديكارت : ولد سنة ١٥٩٦م فى لاهى من اعمال تورين بفرنسا وتعلم فى مدرسة للاباء اليسوعيين • انخرط فى سلك الجيش ثم تركه ، ومال الى دراسة الاخلاق والفلسفة ، وبرع فيهما وهو من اشهر من اتخذ نظرية الشك بين فلاسفة الغرب • توفى سنة ١٦٥٠م •

(٢) ابن رشد : محمد بن احمد بن محمد بن رشد الاندلسى ، ابو الوليد، الفيلسوف من أهل قرطبة ، عنى بكلام ارسطو وترجمه الى العربية ، صنف نحو خمسين كتابا ، وكتب ردا على الغزالى فى كتابه المشهور

هذه صورة موجزة لما عليه العصر الذى عاش فيه الغزالى فالعصر كان يموج بتيارات الفكر المختلفة من شيعة متطرفة ، وباطنية معارضة للحكم آنذاك ، وفلسفة منتشرة ذات اصول تخالف عقيدة الاسلام ، وكانت الدولة العباسية فى طريقها نحو الضعف والاضمحلال ، وعاصر الغزالى دولة السلاجقة ، وشاهد الحركة الجبارة التى قام بها الوزير السلجوقى نظام الملك ، تلك هى حركة انشاء المدارس النظامية فى مختلف البلدان الاسلامية ، • وكانت للمنازعات والمشاحنات بين المذاهب المختلفة اثرها الكبير فى نفس الغزالى وتوجيهه فى معترك الحياة ، كما كان للصوفية وآرائهم فى الزهد والنسك آثارها البعيدة فى حياة الغزالى •

كان لتلك فى مجموعها اثرها فى دراسة وبحث وتوجيه الغزالى ، وتقلباته الفكرية السريعة من حياة التلميذ المجد ، النابه ، الذكى الى درجة الاستاذ الكبير ثم الى الامام حجة الاسلام وزين الدين ، وولى اكبر منصب علمى ، ذلك هو منصب التدريس فى المدرسة النظامية ، ثم كان اثرها الكبير فى انقلابه الفكرى السريع بتركه التدريس ولزومه لحياة التنسك والزهد ، ثم انقطاعه عن العالم فى مدينة طوس • كما كان لتلك اثرها فى ان يندفع هذا الرجل الكبير الى التأليف وتصنيف الكتب الشهيرة والتى كان لها الاثر الكبير فى توجيه الناس فى ذلك العصر •

« تهافت التهافت » ، توفى ابن رشد فى مراكش سنة ٥٩٥هـ/ ١١٩٨م ونقلت جثته الى قرطبة •

تسمية الغزالي

اختلف المؤرخون فى نطق كلمة الغزالى ، هل بتشديد الزاى أو بتخفيفها ؟ قال ابن خلكان ، فى ترجمة أبى الفتوح احمد أخى أبى حامد الغزالى : والغزالى بفتح الغين المعجمة وتشديد الزاى المعجمة وبعد الالف لام ، هذه النسبة الى الغَزّال على عادة اهل خوارزم وجرجان ينسبون الى القصار ، القصاري والى العطار ، العطارى • وقيل ان الزاى مخففة نسبة الى غزالة وهى قرية من قرى طوس وهو خلاف مشهور ولكن هكذا قال السمعانى فى كتاب الانساب والله اعلم[1] •

وقد ذكر السيوطى فى لب اللباب ، القولين مع تضعيف التخفيف واورد طاش كبرى زاده ، فى كتابه المعروف بمفتاح السعادة ، :ـ ان والد الغزالى كان يغزل الصوف ويبيعه فى دكان بطوس ، وروى ايضا : ان الغزالى ، حكى : ان أباه كان فقيرا صالحا لا يأكل الا من كسب يده فى عمل غزل الصوف •

وذكر الشيخ الزبيدى[2] ، وغزالة كسحابة ، قرية من قرى طوس ، قيل : واليها ينسب ابو حامد كما صرح به النووى فى التبيان ، وقال ابن الاثير : ان الغزالى مخففا خلاف المشهور ، وصوب فيه التشديد وهو منسوب الى الغزّال ، بائع الغزل او الغزالى على عادة اهل خوارزم وجرجان كالقصارى الى القصار[3] •

ويميل الاستاذ الدكتور مصطفى جواد ، الى ان كلمة الغزالى ، بالزاى المخففة بالنسبة الى غزالة ، وهى قرية من قرى طوس ، موطن الامام الغزالى • وانا من المؤيدين للسيد الدكتور مصطفى جواد فيما ذهب اليه •

---

(١) ابن خلكان : وفيات الاعيان حـ١ ص٨١ـ٨٢
(٢) الزبيدى : تاج العروس : مادة غزل •
(٣) ابن الاثير : اللباب فى تهذيب الانساب حـ٢ ص١٧٠ •

الفصل الثاني

أ ـ حيــــاته فى بغـــداد
ب ـ الغزالى فى البـلاد الاسلامية

حيـــاته فى بغـــداد

كان الغزالى من اذكى طلبة الامام الجوينى واكثرهم انكبابا على الدرس والاجتهاد وارغبهم فى الاطلاع والبحث ، قال عنه الجوينى :ــ الغزالى بحر مغدق[1] ». والشيخ الجوينى كان مقربا من نظام الملك الوزير السلجوقى ، لفضائل علمه وسمو معارفه ، ولما توفى سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م دخل الغزالى بعد ذلك بمدة الى المعسكر الذى كان فيه نظام الملك ، وبدأ يشارك العلماء مجلسهم لدى الوزير ، كما اخذ فى مناظرتهم ، « وكانت اسئلته فى ابواب العلم محرجة ، وكانت اجوبته لمختلف المسائل مبهجة ، واقر له القوم بصحة الرأى وقوة الحجة واعجب نظام الملك به ووجد فيه ضالته المنشودة ، شخصية علمية ، ذا حجج منطقية ، والماما بمختلف فروع العلم ، وتضلعا فى المذهب الشافعى واخلاصا شديدا له ، فعرض عليه المنصب الكبير ، التدريس فى المدرسة النظامية ببغداد .

وقد كانت بغداد فى ذلك العصر محط انظار الناس ، فهى مركز الخلافة العباسية ، وموطن الجاه والثروة ، فيها العبادة والعلم ، وفيها اللعب واللهو ، لكنها كانت كبقية المدن العلمية الاسلامية ، موطنا لتيارات الفكر المختلفة ، ومركزا من مراكز الشاحنات المذهبية .

وصل الغزالى بغداد سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م وله اربع وثلاثون سنة ، وبدأ التدريس فى النظامية ، وكثر طلابه ، وانتشر خبره فى بغداد ، واعجب الناس باخلاقه وسعة اطلاعه ، وحضر عنده رؤوس العلماء وكان ممن حضر عنده ابو الخطاب وابن عقيل وهما من فقهاء الحنابلة الكبار ، فتعجبوا من فصاحته واطلاعه ، قال ابن الجوزى :ــ « وكتبوا كلامه فى مصنفاتهم » .[2]

---

(١) السبكى : طبقات الشافعية حـ٤ ص١٠٣ .

(٢) ابن الجوزى : المنتظم حـ٩ ص١٦٩ .

وقد شاهد الغزالى احداثا خطيرة منها مقتل نظـــام الملك الوزير السلجوقى الكبير سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م ، وموت السلطان ملكشاه بن الب ارسلان فى السنة نفسها ، ووفاة الخليفة المقتدى بأمر الله سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م ، كما شاهد حفل تنصيب الخليفــة المستظهر بالله ، وفى اعقابها توجه سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥م الى الشام وترك تدريس النظامية .

كان لاتصال الغزالي بنظام الملك أثر كبير فى مستقبله ، وقد اشتهر عن نظام الملك ، انه كان حريصا على خدمة الصوفية وبناء الربط لهم ، وقد ورد ان نظام الملك قال للسلطان ملكشاه عنهم : « وانا اقمت لــك جيشا يسمى جيش الليل ، اذا نامت جيوشك ليلا ، قامت جيوش الليل على اقدامهم صفوفا بين يدى ربهم ، فارسلوا دموعهم واطلقوا بالدعاء السنتهم ومدوا الى الله اكفهم بالدعاء لك ولجيوشك ، فأنت وجيوشك فى خفارتهم تعيشون وبدعائهم تبيتون وببركاتهم تمطرون وترزقون » .

ان لاهتمام نظام الملك بالصوفية وتأسيسه الربط لهم ومدهم بالمعونات الضرورية كان له الاثر فى ازدياد عدد الصوفية وانتشار طريقتهم ، وابو حامد الغزالى ، الذى طرق جميع ابواب المذاهب والمبادىء لدرسها ونقدها أقبل بهمة كبيرة على طريق الصوفية ، واخذ فى دراسة مبادئهم والتعمق فى اصول مذهبهم ، وقال ابو حامد :ـ « وعلمت ان طريقتهم انما تتم بعلم وعمل ، وكان حاصل عملهم قطع عقبات النفس والتنزه عن اخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة حتى يتوصل بها الى تخلية القلب من غير الله تعالى وتحليته بذكر الله[1] » وطالع كتبهم واشهر ما طالع منها ، كتاب قوت القلوب لابى

(١) المنقذ من الضلال ص٣٥ .

طالب المكى[١] وتصانيف الشيخ الصوفى المحاسبى ، واقوال الجنيد البغدادى[٢] ، والشيخ الشبلى[٣] ، وأبى يزيد البسطامى[٤] ، ولاندفاعه الشديد ، وتتبعه المخلص ، وقدرته على الفهم السريع والادراك الواضح ، فقد توصل الى كنه مقصدهم العلمى ، وظهر له ان أخَصّ خواص الصوفية لا يمكن الوصول اليه بالتعليم بل بالذوق والحال وتبدل الصفات . ولا

(١) ابو طالب المكى : محمد بن علي بن عطية الحارثى ، واعظ زاهد ، فقيه ، من اهل الجبل بين واسط وبغداد ، نشأ واشتهر بمكة ، ورحل الى البصرة فاتهم بالاعتزال ، وسكن بغداد ووعظ فيها فحفظ عنه الناس أقوالا هجروه من أجلها ، وتوفى ببغداد . من كتبه المشهورة « قوت القلوب » فى التصوف وكتاب « علم القلوب » و « اربعون حديثا » . توفى سنة ٣٨٦هـ/٩٩٦م .

(٢) الجنيد البغدادى : الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادى الخزاز ، ابو القاسم ، من مشاهير الصوفية ، مولده ونشأته ووفاته ببغداد ، أصل أبيه من نهاوند ، وعرف الجنيد بالخزاز لانه كان يعمل الخز ، والجنيد اول من تكلم فى علم التوحيد ببغداد . وعده بعض العلماء شيخ مذهب التصوف ، توفى سنة ٢٩٧هـ/٩١٠م .

(٣) الشيخ الشبلى : دلف بن جحدر الشبلى ، ابو بكر ، من النساك ، كان فى أول أمره واليا على دنباوند من أعمال الرى ، وولى الحجابة للموفق العباسى ، وكان ابوه حاجب الحجاب ، ثم ترك الولاية وعكف على العبادة واشتهر بالصلاح وسلك مسلك الصوفية ، نسبته الى قرية شبلة فيما وراء النهر ومولده بمدينة سامراء سنة ٢٤٧ هـ/ ٨٦١م وتوفى ببغداد سنة ٣٣٤هـ/٩٤٦م وقبره لا يزال قائما بالقرب من مشهد ابى حنيفة .

(٤) ابو يزيد البسطامى : طيفور بن عيسى البسطامى ، ابو يزيد ، من الزهاد المشهورين بالتنسك والعبادة ، نسبته الى مدينة بسطام، ويرى بعض الباحثين انه من الذين يقولون بوحدة الوجود ، توفى سنة ٢٦١هـ/٨٧٥م فى بسطام واخباره كثيرة فى كتب التصوف.

بد من ان اشير الى ما وقع فيه ابن تيمية[1] من الخطأ البالغ حين قال : ان تصوف الغزالى مأخوذ من ابى حيان التوحيدى[2] ، فلا صلة بين ابى حيان والتصوف ولم يكتب كتابا واحدا فى هذا الموضوع .

وهنا بعد تأثره بالصوفية ، انقلب الرجل فجأة من حال الى حال ، فترك المنصب الكبير ، تدريس النظامية ، وفارق بغداد ، بعد ان فرّق ما معه من المال على الفقراء ولم يدخر الا قدر الكفاف ، ودخل الشام . فى هذه اللحظات الحاسمة من حياته ، يصور لنا الغزالى حالته النفسية آنذاك ، كيف يترك بغداد ، وما حوت من نعيم ؟ وكيف يترك النظامية وهو اكبر المدرسين فيها ؟ انه يصور لنا حالة التردد التى انتابته ، فيقول :- « فلم ازل اتفكر فى الامر مدة وانا بعد على مقام الاختيار ، اصمم العزم على الخروج من بغداد ومفارقة تلك الاحوال يوما وأحل العزم يوما ، واقدم فيه رجلا وأؤخر فيه اخرى . لا تصدق لى رغبة فى طلب الآخرة بكرة الا ويحصل عليها جند الشهوة فتفترها عشية ، فصارت شهوات الدنيا

---

(١) ابن تيمية : احمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله النميرى الحرانى الدمشقى الحنبلى ، ولد فى حران وتحول به ابوه الى دمشق فنبغ فيها ودخل مصر وتعصب فيها اليه جماعة فسجن مدة ثم نقل الى الاسكندرية ثم أطلق ورجع الى دمشق واعتقل فيها سنة ٧٢٠هـ، وكان كثير البحث فى فنون المعرفة وبرع فى التفسير والاصول وله تآليف عديدة ، مات وهو سجين فى قلعة دمشق سنة ٧٢٨هـ/ ١٣٢٨م .

(٢) ابو حيان التوحيدى : على بن محمد بن العباس التوحيدى ، فيلسوف ومتصوف معتزلى ، ولد فى شيراز واقام مدة فى بغداد وانتقل الى الرى فصحب ابن العميد والصاحب بن عباد ، اتهمه ابن الجوزى بالزندقة ، من أشهر كتبه « المقابسات » « والامتاع والمؤانسة » « والصداقة والصديق » وغيرها من الكتب المهمة . توفى سنة ٤٠٠هـ/١٠١٠م .

تجاذبني بسلاسلها على المقام ، ومنادى الايمان ينادى الرحيل ، الرحيل ، فلم يبق من العمر الا القليل وبين يديك السفر الطويل ، وجميع ما أنت فيه من العلم والعمل رياء وتخييل ، فان لم تستعد الآن للآخرة فمتى تستعد ؟ وان لم تقطع الآن هذه العلائق فمتى تقطع ؟ فعنـد ذلـك تنبعث الداعية وينجزم العزم على الهرب والفرار ثم يعود الشيطان ويقول : هذه حال عارضة اياك ان تطاوعها فانها سريعة الزوال ، فان انت أذعنت لها ، وتركت هذا الجاه العريض ، والشـأن المنظوم الخـالى عن التكدير والتنغيص ، والامن المسلم الصافى عن منازعة الخصوم ، ربما التفتت اليه نفسك ، ولا تيسر لك المعاودة » .

« فلم ازل اتردد بين تجاذب شهوات الدنيا ودواعى الآخرة سـتة اشهر ، اولها رجب سنة ٤٨٨ هـ وفى هذا الشهر جاوز الامر حد الاختيار الى الاضطرار ، اذ اقفل الله على لسانى ، حتى اعتقل عن التدريس ، فكنت أجاهد نفسى أن ادرس يوما واحدا ، تطييبا لقلوب المختلفة إلي ، فكان لا ينطق لسانى بكلمة واحدة ، ولا استطيعها البتة ، حتى اورثت هـذه العقدة فى اللسان ، حزنا فى القلب ، بطلت معه قوة الهضم ومراءة الطعام والشراب ، فكان لا ينساغ لى ثريد ولا تنهضم لى لقمة ، وتعدى الى ضعف القوى ، حتى قطع الاطباء طمعهم فى العلاج ، وقالوا : هذا أمر نزل بالقلب ومنه سرى الى المزاج فلا سبيل اليه بالعلاج » .

« ثم لما احسست بعجزى وسقط بالكلية اختيارى ، التجأت الى الله التجاء المضطر الذى لا حيلة له ، فأجابنى الذى يجيب المضطر اذا دعاه ، وسهل علي فليس الاعراض عن الجاه والاولاد والاصحاب واظهرت عزم الخروج الى مكة وأنا اريد فى نفسى سفر الشام ، حذار ان يطلع الخليفة وجملة الاصحاب ، على عزمى فى المقام بالشام ، فتلطفته بلطائف الحيل فى

الخروج من بغداد على عزم ألا اعاودها ابدا »[1] .

هذا النص المهم ، يوضح لنا بجلاء ، اضطراب الغزالى الفكرى ، وتردده أول الامر فى ترك المنصب ومفارقة بغداد ، التى كانت موئل العلم والادب ومحط انظار الناس فى كل الاقطار ، كما كانت بغداد تمثل الدنيا بكل مباهجها وفتنتها ، والشىء بالشىء يذكر فى حديث جرى بين الامام الشافعى ويونس بن عبدالاعلى ، قال الشافعى : يا يونس هل رأيت بغداد ؟ قال يونس : لا . فقال الشافعى : ما رأيت الدنيا ولا رأيت الناس .

ان الغزالى ، أيقن ان الحياة فى بغداد اصبحت لا تطاق ، فلونها ونظامها لا ينسجم وما يحمل من افكار ومبادىء صوفية ، فانه يريد الابتعاد عن الدنيا ومفاتنها وعن الوظيفة ومشاغلها ، ولكنه كان كأى انسان ، يتوقف قليلا او كثيرا فى مفترق طريق حياته يفكر مليا فى عواقب الامور ، وتتجاذبه مسائل عديدة ، وتشاغل عقله افكارا مختلفة ، لذا صار الغزالى كما يقول يقدم رجلا ويؤخر اخرى ، وما زال يتردد بين تجاذب شهوات الدنيا ودواعى الآخرة ، بين الاقدام والاحجام ، وتفكيره الطويل هذا ، ادى به الى مرض نفسى ، جعله ينزوى عن الناس ، ولا يقدر على التدريس ، ولا يشتهى الطعام ولا الشراب . وكانت ازمة حادة مر بها ابو حامد الغزالى ، وفى ليلة ليلاء ، فيها كان السكون يخيم على الناس ، والغزالى فى بحر من التفكير ، اذ يطلع عليه اخوه احمد[2] وهو صوفى

---

(١) الغزالى : المنقذ من الضلال ص٣٦-٣٧

(٢) احمد الغزالى : احمد بن محمد بن احمد ، ابو الفتوح ، مجدالدين الطوسى الغزالى ، من الوعاظ المشهورين وهو اخو أبى حامد الغزالى ، درس بالنظامية نيابة عن أخيه لما ترك التدريس ، اصله من طوس ووفاته فى قزوين ، وشهرته بالغزالى كأخيه ، له تآليف مهمة أشهرها :ـ « الذخيرة فى علم البصيرة » فى التصوف و « لباب

من اعمق صوفية الاسلام ويناديه :

ولما رأيت الحب قد مد جسره
وقيل للعشاق ويحكموا مروا

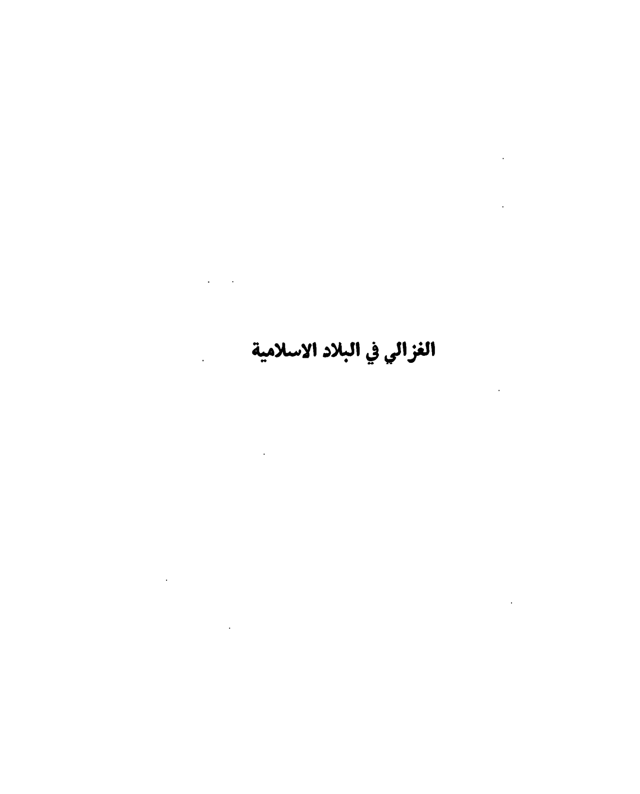
أتيت مع العشاق كيما اجوزه
فصادفني الحرمان وانقطع الجسر

وحاطت بي الامواج من كل جانب
ونادى منادى الهجر قد عدم الصبر

وصرخ الغزالى صرخة كبيرة ودخل الى غرفته ، مسرعا بنشاط وحيوية ، وجمع ما يمكنه حمله ، وسار متجها نحو الشام ، تاركا بغداد فتنة الدنيا ، وهاجرا النظامية بهجة العلم ، ومبتعدا عن اهله واحبائه ، وعاش عيشة الزهاد والمتنسكين فى مئذنة جامع دمشق والتى عرفت (بالمئذنة الغزالية) .

اذن فالغزالى بعد التفكير الطويل والتأمل البعيد ينقلب من حالة الاحجام والتردد الى حالة الاقدام والتنفيذ ، وكأن شقيقه احمد نبهه الى فكرة التنفيذ ، والحق ان تلك الابيات التى اطلقها ابو الفتوح احمد كانت الحافز الكبير لاستثارة ابى حامد الغزالى ، وانطلاقة نحو الحياة التى استهدفها ، الحياة التى تطمئن لها النفس ويستقر بها الوجدان وهذا لعمرى ان دل انما يدل على اصالة تصوفه وانقداحه عن دافع داخلى ، حركه فيه اخوه الصوفى الكبير ابو الفتوح احمد .

الاحياء ، اختصر فيه كتاب احياء علوم الدين لاخيه ابى حامد ، وله مجالس وعظ مشهورة فى بغداد دون عددا منها « صاعد بن فارس اللبانى » ، توفى ابو الفتوح سنة ٥٢٠هـ/١١٢٦م .



الغزالي في البلاد الاسلامية

ترك الغزالى بغداد ، وسار وحيدا لم يصطحب اطفاله ولا عياله معه ، وسنجد الرجل ينتقل من مكان الى مكان لا يستقر فى بلد حتى يدفعه حال الى دخول بلد آخر ، والغزالى فى تطوافه بالبلاد الاسلامية كانت غايته الاولى البحث عن الحقيقة التى كان يجاهد فى سبيل الوصول اليها ، انها والحق لسياحة صوفية وتشوقا للحقيقة ، وكانت خطوة من اعمق خطوات الطريق عند الصوفية .

اجل ترك الغزالى مدينة بغداد وفى طريقه قابله فى البادية تلميذه ابو بكر بن العربى ، وقد تعجب من حاله ، وطلب منه ان يعود الى التدريس فى النظامية ، فرد عليه الغزالى :ـ

تركت هوى ليلى وسعدى بمعزل	وعـدت الى مصحوب اول منزل
ونادتنى الاشـــواق مهـــلا فهذه	منـازل مـن تهوى رويدك فانزل
غزلت لهـم غزلا رقيقـا فلم اجد	لغزلى نساجا فكســرت مغزلى[1]

ومضى الغزالى فى طريقه لا يلوى على شىء ، ودخل الشام وأقام بها سنتين ، ولا شغل له سوى العزلة والخلوة والتأمل والعبادة وتصفية القلب بذكر الله تعالى ، واعتكف فى مسجد دمشق وكان يطلع الى منارة المسجد كل يوم ويغلق عليه بابها ويعتكف على ما تذكره بعض الروايات فى منارة ذلك المسجد ، وقد عرفت تلك المنارة (بالمئذنة الغزالية) . ثم رحل بعد ذلك الى بيت المقدس ، وكان كثير الاعتكاف فى مسجد قبة الصخرة ، وبعد ان زار قبر ابراهيم الخليل (عليه السلام) سافر الى مكة

(١) ابو بكر بن العربى : العواصم والقواصم ص٢١ مخطوط .

فأدى فريضة الحج ثم اعتزم بعد ذلك الرحلة الى المغرب قاصدا زيارة الامير يوسف بن تاشفين[1] ، ولكنه لما وصل الى مدينة الاسكندرية علم ان هذا الامير قد توفى .

تؤكد المراجع الاسلامية ان الغزالى زار القاهرة والاسكندرية ، ولكن الغزالى لا يذكر اخبار تلك الزيارة فى كتبه ولا نظفر فى كتبه باشارة اليها ، ومن المرجح ان يكون هذا قد حدث سهوا منه ، او انه قد أهمل ذكرها لكراهيته للحكم الفاطمى فى مصر ابان ذلك الوقت ، وقد كان الغزالى أمينا على الدواء لمذهبه الاشعرى ، ومن المرجح ايضا ، ان الغزالى لم يلق ترحيبا بمصر الفاطمية ، ووجد كتبه لم تنشر فيها بسبب عقيدته المخالفة لعقيدة الدولة . لعل الغزالى ان يكون قد كره هذا او كره بعضها فأغضى عن ذكرها .

وقد كان نتاج رحلته الى الشام وبيت المقدس ، كتابه الكبير « احياء علوم الدين » وهو من اشهر ما كتبه فى التصوف والاخلاق ، والذى قدم فيه الخلاصة الرائعة لتجربته الصوفية ، وهو نفسه يحدثنا عن هذا فيقول :ـ انكشف لى فى أثناء هذه الخلوات امور لا يمكن احصاؤها واستقصاؤها ،

---

(١) يوسف بن تاشفين : يوسف بن تاشفين بن ابراهيم ، المصالى الصنهاجى ، اللمتونى الحميرى ، ابو يعقوب ، امير المسلمين ، وملك الملثمين : سلطان المغرب الاقصى ، وبانى مدينة مراكش واول من دعى بأمير المسلمين . استولى على مدينة فاس وغزا الاندلس ، انتصر على الفرنج فى معركة الزلاقة سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م ، وبعدها بايعه ملوك الاندلس بامارة المسلمين ، وضرب السكة وجددها ، ونقش ديناره « لا اله الا الله محمد رسول الله » وتحت ذلك « امير المسلمين يوسف بن تاشفين » وامتد ملكه ، المغربين الاقصى والاوسط وجزيرة الاندلس. وتوفى بمراكش سنة ٥٠٠هـ/١١٠٦م.

والقدر الذى اذكره لينتفع به أنى علمت يقينا ان الصوفية هم السابقون لطريقة الله تعالى ، خاصة وان سيرتهم أحسن السير وطريقتهم اصوب الطرق واخلاقهم ازكى الاخلاق .. وان جميع حركاتهم وسكناتهم فى ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة . »[1]

(١) المنقذ : ص٣٩ .

الفصل الثالث

أ ـ مراحل الشك عند آلغزالى
ب ـ عـــزلة الغـــزالى
حـ ـ الغـــزالى والفلاســـفة

مراحل الشك عند الغزالى

بينا فيما سبق ، ان الغزالى ولد فى طوس سـنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م وقد درس الفقه وهو صغير على الشيخ احمد الراذكانى ، ثم وصل جرجان حيث تلمـذ على الشيخ ابى القـاسم الاسماعيلى ثم درس بعد ذلك فى نيسابور ، المدينة العلمية الحافلة بالعلماء ، وكان رئيس علمائها وقتذاك ، امام الحرمين عبدالملك الجوينى ، وكان الغزالى اثناء دراسته على الشيخ الجوينى ، مثل الطالب المجد ، النابه ، المتفهم لجميع ما يلقى عليه من العلوم ، والظاهر ان الغزالى منذ ان بدأ دراسته فى نيسابور على الشيخ الجوينى بدأت عنده فكرة الشك فيما يدور حوله ، ويظهر انه كتم ذلك حتى توفى استاذه الكبير الجوينى ، وبرح بعدها الى معسكر نظام الملك الوزير السلجوقى ، الذى كان مجلسه عامرا بالفقهاء والعلماء والصوفية ، وفى حضرة الوزير تبارى الغزالى مع اساطين العلم واكابر الفقهاء ، ولعمرى ان نقاش الغزالى مع هؤلاء العلماء والفقهاء لدليل قاطع على ان الرجل كان شكاكا فى آرائهم ولا يؤمن بها وهذا أظهر الشك ، ولا بد وان يكون الشك هذا قد نما عند الغزالى قبل مدة طويلة ، وفى تلك اللحظة اعجب الوزير بالغزالى وقربه اليه وولاه تدريس النظامية وهو ارفع المنـاصب العلمية وقتذاك .

كان الغزالى يبذل قصارى جهده من اجل الوصول الى الحقيقة ، حقيقة كل امر ومشكلة ، وهو من اولئك الذين لا يصدرون حكما فى قضية الا بعد دراستها من جوانبها المختلفة والمتعددة ، ويحاول الوقوف على اسباب وقوعها وحدوثها وبيان آثارها ونتائجها ، وهو نفسه يوضح لنا اتجاهه فى دراسة اصحاب المبـادىء والفلاسـفة والمتكلمين ، فيقول :ـ

« استكشف اسرار كل مذهب لأميز بين محق ومبطل ، ومتسنن ومبتدع ، لا أغادر باطنيا الا وأحب ان اطلع على بطانته ولا ظاهريا الا واريد ان اعلم حاصل ظهارته ولا فلسفيا الا واقصد الوقوف على كنه فلسفته ولا متكلما الا واجتهد فى الاطلاع على غاية كلامه ومجادلته ، ولا صوفيا الا واحرص على العثور على سر صوفيته ولا متعبدا الا واترصد ما يرجع اليه حاصل عبادته ولا زنديقا الا وأتحسس وراءه للتنبه لاسباب جرأته فى تعطيله وزندقته ، وقد كان التعطش الى درك حقائق الامور دأبى من اول عمرى وريعان شبابى غريزة وفطرة من الله وضعتا فى جبلتى »[1] .

هذا النص يوضح بجلاء ، ما اعتادت عليه نفس الغزالى فى البحث والتعلم ، والرجل كما قلت لا يتقبل الشىء دون دراسة وبحث ، ولا يصدر حكما فى أى موضوع الا بعد ان يلم بجوانب ذلك الموضوع الماما كاملا . ونتيجة هذا البحث الطويل والاستقصاء المستمر ، نشأت لدى الغزالى عادة الشك فى كل أمر ، على ان الغزالى كان لا يدعو الى الشك ، بل كان ديدنه ، الوصول الى اليقين ، وكان الغزالى يتعجب من كل أمر لا يعرف كنهه ، انظر ما يقول : « فلو قال لى قائل : لا بل الثلاثة اكثر من العشرة بدليل انى اقلب هذه العصا ثعبانا ، وقلبها ، وشاهدت ذلك منه ، لم اشك بسببه فى معرفتى ، ولم يحصل لى منه الا التعجب من كيفية قدرته عليه ، فأما الشك فيما علمته فلا . ثم ان كل ما لا اعلمه على هذا الوجه ولا أتيقنه هذا النوع من اليقين فهو علم لا ثقة به ولا امان معه ، وكل علم لا أمان معه فليس بعلم يقينى . »[2]

واخذ الغزالى يفتش عن العلوم ، وصار يشكك نفسه فى معرفة

---

(١) المنقذ : ص١٠ .

(٢) المنقذ : ص١١ .

الكثير منها حتى قاده الشك الى اليقين فى معظمها ، ثم يصطدم الغزالى هنا وبدأ يشك فى يقين هذا العلم ، واليقين فيها مبنى على الحس والحس لا يصدق دائما ، قال الغزالى : « اقبلت بجد بليغ اتأمل فى المحسوسات والضروريات وانظر هل يمكننى ان اشكك نفسى ، فانتهى بى طول التشكيك الى ان لم تسمح لى نفسى بتسليم الامان فى المحسوسات ايضا »[1] . واخذ الشك يزيد ويتسع عند الغزالى ، وصار يقول : « من اين الثقة بالمحسوسات واقواها حاسة البصر وهى تنظر الى الظل فتراه غير متحرك وتحكم بنفى الحركة ، ثم بالتجربة والمشاهدة بعد ساعة تعرف انه يتحرك وانه لم يتحرك بغتة ودفعة بل على التدريج ذرة ذرة حتى لم تكن له حالة وقوف ، وتنظر الى الكوكب فتراه صغيرا فى مقدار الدينار ، ثم الادلة الهندسية تدل على انه اكبر من الارض بمقدار !! وهذا وامثاله من المحسوسات يحكم فيها حاكم الحس بأحكامه ، ويكذبه حاكم العقل ويخونه تكذيبا لا سبيل الى مدافعته فقلت :ـ قد بطلت الثقة بالمحسوسات ايضا »[2] .

وبعد ان وثق بالعقليات بدأ يشك فى هذه ايضا ، قال الغزالى : « فقالت المحسوسات : بم تأمن ان تكون ثقتك بالعقليات كثقتك بالمحسوسات، وقد كنت واثقا بى ، فجاء حاكم العقل فكذبنى ، ولولا حاكم العقل لكنت تستمر على تصديقى ، فلعل وراء ادراك العقل حاكما آخر . »[3]

هكذا خاض الغزالى صراعا عنيفا من الافكار ، انه شك فىالضرورات العقلية كقوانين الفكر ومبادىء البرهان الاساسية ، ثم انتهى فيها الى اليقين بنور قذفه الله ، ومما يسترعى النظر ان شكه فيها يشبه شك ديكارت

(١) المنقذ : ص١٢ .
(٢) المرجع السابق ص١٢ .
(٣) المرجع السابق ص١٣ .

حينما تكلم هذا الاخير عن « الشيطان الماكر » الذى جعله يشك فى البديهيات •

ولعلى أجد ان الغزالى كان كثير التشكيك فى العلوم وكل ما يدور حوله ، وكثيرا ما أوصله الشك الى اليقين ، فهو يقول : ان الشكوك هى الموجبة للحق ، فمن لم يشك لم ينظر ومن لم ينظر لم يبصر ومن لم يبصر بقى فى العمى والضلال •

ان هذا الشك جعل الغزالى يفكر فى كل أمر يقع عليه نظره أو يتلقاه سمعه فيمحصه تمحيصا كاملا ، ولعمرى ان هذا لهو السر فى مطلب الرجل للوحدة دائما والانزواء عن الناس ، كى يتفهم المسائل العديدة التى صادفته فى حياته بهدوء وصفاء وليخرج من دراستها بنتائج ملموسة ويزداد بذلك ثقة وطمأنينة •

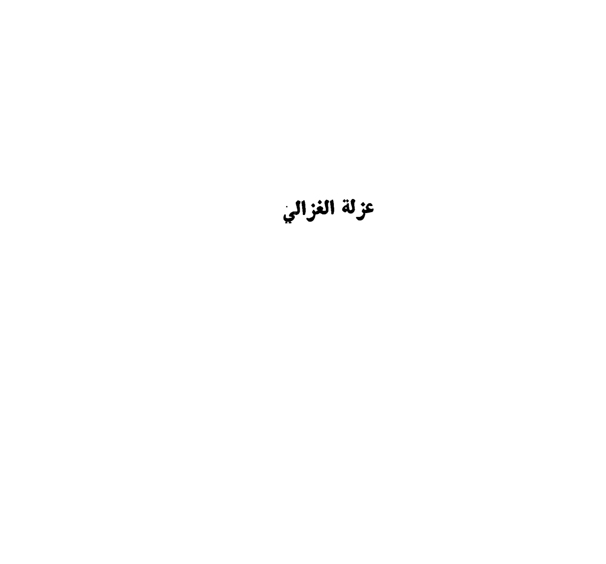
والذى اعتقده ، ان هذه الحالة هى من العوامل المهمة التى جعلت الغزالى يهجر بغداد ويعتزل التدريس وينزوى وحيدا بعيدا عن الناس •

ولا شك ان النظامية وهى مليئة بطلاب العلم ، كانت ايضا محط العلماء والفقهاء ، كما كانت بغداد موئل الجميع فكانت تموج بتيارات الفكر المختلفة ، مشحونة بالمسائل والمشاكل ، وهذه امور تثير الشك فى الغزالى وتستدعى منه الدرس والمناقشة ، فالجو فى بغداد كان محموما ، مرهقا كثير المسائل والمشاكل التى تتعب جسمه كما تتعب عقله ، لذا فانه نشد الراحة وطلب الخروج من بغداد ، ونزعته فى الشك جعلته فى طليعة العلماء الذين اشتهروا فى هذا الباب ، وقد سبق ديكارت ابا الفلسفة الحديثة فى نظريته عن الشك بقرون عديدة •

وادى به الشك الى دراسة الفلسفة ، ولم يكن الذى دفعه على البحث فيها ودراستها مجرد شغف بالعلم ، بل التطلع الى مخرج من الشكوك

التى كان يثيرها عقله ، وصار ينقب فى علومها واصولها حتى يطمئن قلبه ويتذوق الحقيقة العليا ، وخرج الغزالى من دراسته الفلسفية بكتاب نفيس هو كتاب « تهافت الفلاسفة » ، وقد هاجم فيه الفلسفة اليونانية ، ـ كما عرفها فلاسفة الاسلام ـ هجوما عنيفا ، ووضع فيه آراء فلسفية مبتكرة مستندة على الروح والفكر الاسلامى ، ومنبثقة من اصليه العظيمين القرآن والسنة .

عزلة الغزالي



عرفنا ان الغزالى كان قد ولي منصب التدريس فى النظامية سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م وظل فى ذلك المنصب الى سنة ٤٨٨م/١٠٩٥م حيث اعتزل التدريس فجأة وغادر بغداد الى الشام وفلسطين فالحجاز ثم مصر ، وقد اختلف المؤرخون والباحثون فى اسباب تلك العزلة •

كان الغزالى ــ كما قلت ــ فى عصر الفرق المتباينة ، والنحل المختلفة المتعارضة ، وقد خض الغزالى هذا البحر اللجى كله ، واضطرم كل هذا فى عقله وقلبه ، وكان هو بينهما ــ مترددا حائرا ، قلقا ، لا يستقر على قرار ، ولا ينتهى الى حد • وأحاط به الشك ، والشك دفعه فى محاولة اخيرة الى العزلة ، وفى عزلته وصل الى اليقين •

عاش الغزالى فى بغداد من سنة ٤٨٤ ــ ٤٨٨ هـ/١٠٩١ ــ ١٠٩٥ م ويبدو انه كا نيحمل فكرة طيبة عن مقام الخلافة ، ذلك المقام المحاط بهالة من التقديس والتبجيل ، وقد قرّبه وجوده فى بغداد من ذلك المقام الذى كان يعج بالترف والنعيم واللهو ، وكان الغزالى ميــالا الى الزهد ومتأثرا بالصوفية منذ ان درس على استاذه الاول الصوفى يوسف النساج ، واعتقد ان الغزالى اصيب برد فعل فى بغداد مما رأى وما سمع • لقد راع الغزالى ما وجد فى دار الخلافة من فساد وفسق وفجور وتهتك واضناه ما وجد هنا من تحلل من احكام الشرع ونواهيه ، وكره سكوت الفقهاء عن كل هذا ، فنفر من بغداد ومن المقام فيها •

وهناك سبب سياسى ذكره بعض المؤرخين ، وهو انه كانت توجد صلة بين الغزالى وامير المغرب يوسف بن تشفين ، ومن الواضح ان

الخليفة فى بغداد لا يريد له منافسا قويا كيوسف بن تاشفين ، ومن المرجح ان الخليفة اعتقد بخطورة تلك الصلات التى قد تسبب له المشاكل لذا حاول الخليفة ابعاد الغزالى عن حضرته وتحويل وجهه عنه ، فأحس الغزالى بذلك وكان هذا من عوامل خروجه من بغداد واعتزاله للتدريس.

والغزالى يذكر فى سبب تركه التدريس ، قوله : « ثم لاحظت احوالى فاذا انا مقبل على علوم غير مهمة ولا نافعة فى طريق الآخرة ، ثم تفكرت فى نيتى فى التدريس فاذا هى غير صالحة لوجه الله تعالى ، بل باعثها ومحركها طلب الجاه .. وانتشار الصيت ، فتيقنت انى على شفا جرف هار ، وانى قد اشفيت على النار ، ان لم اشتغل بتلافى الاحوال » . هذا بيان واضح على تأثر الرجل بمبادىء الصوفية ورغبته الملحة فى سبيل ترك حياة وظيفة التدريس وابتعاد عن مصادر الشهرة والجاه .

وأرى ان لعزلة الغزالى اسبابا أخرى مهمة ، فان اغلب المؤرخين ذكرها وسأوردها فيما بعد ، واؤيدها بوثيقة بخط الغزالى نفسه وردت فى كتاب « غزالى نامة » المطبوع فى طهران سنة ١٣١٨ هـ/١٩٠٠ م[١]

ان زهد الرجل ، نتيجة تأثره بالصوفية كان دافعا مهما أدى به أن يترك التدريس فى المدرسة النظامية ويعتزل الناس ويأوى الى مسجد دمشق ، سالكا طريق الصوفية ، وأصبح من فرط اخلاصه لهم يصفهم : « انهم السالكون لطريق الله تعالى خاصة ، وان سيرتهم أحسن السير وطريقتهم أصوب الطرق واخلاقهم ازكى الاخلاق » .

وكان الغزالى ينحو منحى الصوفية فى نسكهم وزهدهم ، فهو لا يتطلب فى هذه الفترة وظيفة او يريد مالا ، بل انه أراد ان يعيش فى حالة تنسك وتقشف وزهد ، يرتاح فيها ضميره ويطمئن وجدانه .

(١) مؤلف الكتاب السيد جلال الدين الحمائى

ومن الجدير بالذكر ، ان الغزالى كان متزوجا وله اطفال ،والظاهر انه كان يعيش فى بغداد ، وحيدا ، تاركا عياله فى طوس وهذا الامر لا بد وان يؤخذ بنظر الاعتبار ، اذ أنه كان يطبق مبدءا صوفيا مهمـا هو « قطع العلائق » أى قطع كل صلة بينه وبين اهله ، وكان الصوفية يفعلون هذا فى مرحلة من مراحل تصوفهم .

وكان الغزالى ذا نفس عالية كريمة ، وكان يعتقد ان الحب والاحترام والتبجيل لله عز وجل لا غير ، والسلام لمن يستحق السلام وعدم الاتصال بالسلطان والامراء ، لان مخالطتهم برأى الغزالى ، آفة عظيمة ، فهو يقول فى كتابه « أيها الولد » :ــ ألا تخالط الامراء والسلاطين ولا تراهم ، لان رؤيتهم ومجالستهم ومخالطتهم آفة عظيمة » .[1]

وكان الغزالى يشعر بان هدايا السلاطين ولو كانت من الحلال الا انها تولد المداهنة والرياء ومعنى ذلك مراعاة جانبهم والموافقة فى ظلمهم وهذا معناه فساد فى الدين[2] . وكان الغزالى يكره مدح السلطان وكان يعتقد ان الله يغضب اذا مدح الفاسق والظالم[3] .

مما لا شك فيه ، اننا نجد بين سطور كلام الغزالى ، الواردة فى كتابه « أيها الولد »[2] معانى بعيدة تصور فكرة الرجل عن العصر الذى هو فيه ، والانسان انما يتأثر بما يرى فى مجتمعه من عدل وجور وصلاح وشر ، فالغزالى طبعا متأثر بالوضع القائم وقتذاك عندما يقول : « دع عنك مدحهم وثناءهم لان الله يغضب اذا مُدِحَ الفاسقُ والظالمُ »[4] وهو يقول ايضا : « ألا تقبل شيئا من عطاء الامراء وهداياهم وان علمت انهـا من

(١) الغزالى : ايها الولد ص٥٧ .
(٢) الغزالى : ايها الولد ص٥٧ .
(٣) ايها الولد : ص٥٧ .
(٤) ايها الولد : ص٥٧ .

الحلال لان الطمع منهم يفسد الدين لانه يتولد المداهنة ، ومراعاة جانبهم والموافقة فى ظلمهم[1] .

وهذه تعطينا صورة عما انتهى اليه فكر الغزالى ، انها صدى لما يدور فى خلده وما هو فى قلبه ، فكان يعتقد ان السلطان ظالم ، وان مجالسته آفة وكل من يتصل بهم ويتقبل منهم المال والهدايا انما يراعيهم فى ظلمهم وجورهم ، والغزالى ، المجاهد الكبير ، الداعى الى الله عز وجل ، كان يأبى ان يأخذ المال ويداهن هؤلاء الظالمين .

كان يرى التنازع على السلطة ، أمير يضرب اميرا ، وسلطان يتآمر بسلطان ، وكان يرى اغتصاب الاراضى وانتهاك الحرمات كل ذلك له تأثيره الكبير فى نفس الغزالى وأدى به الى النفور من مجتمع بغداد والخروج منها صافيا تقيا ، ينشد الله .

وقد ملّ الغزالى المناظرة فى بغداد ، لان المناظرة والجدل تورث المراء والحسد والحقد وحب الغلبة ، فكان لا بد له ـ وهو بسبيل طريق جديد ـ ، أن ينأى عن هذا كله ، فتأمله وهو يقول : « ألا تناظر احدا فى مسألة ما استطعت ، لان فيها آفات كثيرة ، فائدتها اكثر من منفعتها ، اذ هى منبع كل خلق ذميم كالرياء والحسد والكبر والحقد والعداوة والمباهاة وغيرها . » « فبعض الناس يسأل عن حسد وبغض ، فكلما تجيبه بأحسن الجواب وافصحه وأوضحه فلا يزيد له ذلك الا بغضا وعداوة وحسدا ، فالطريق الا تشتغل بجوابه فقد قيل :ـ

كل العداوة قد ترجى ازالتها
الا عداوة من عاداك عن حسد

« وهناك الحمقى الذين يطلبون العلم زمنا قليلا ويتعلمون شيئا من

(١) ايها الولد : ص٥٧ .

العلم العقلى والشرعى ويعترضون من حماقتهم على العالم الكبير الذى أنفق عمره فى العلوم العقلية والشرعية وهؤلاء الحمقى لا يعلمون ويظنون ان ما اشكل عليهم هو أيضا مشكل على العالم الكبير . قال عيسى عليه السلام : « انى ما عجزت عن احياء الموتى وقد عجزت عن معالجة الاحمق »[1] .

فالمناظرة فى رأى الغزالى لا تعود بالخير على العالم ، بل نتيجتها الحسد والبغضاء والعداوة ، ووقوعه فى جماعة من الحمقى والجهلاء الذين لا تفيد فيهم المناقشة والمجادلة لسوء فهمهم وقلة ادراكهم ، وكان فى بغداد بعض اصحاب المبادىء ، يحضرون مجلس الغزالى فيمطرونه بالاسئلة الكثيرة وقد يكون بعضها محرجا ، وكان عليه ان يجيب وان يذكر رأيه ، وان يجرح آراء الآخرين ، وبذلك يكثر اعداؤه ومناوؤه ، وكل هذا يخالف طريقه الجديد ـ السلوك الصوفى .

هذه بعض الاسباب التى كانت قد أدت بالامام الغزالى الى العزلة عن الناس والتدريس ، وسأورد نصا نفيسا ورد فى كتاب « غزالى نامة »[2] لمؤلفه الاستاذ جلال‌الدين الحمائى ،وهو يبين‌بوضوح نفسية الغزالى‌ورأيه‌فى اعتزاله التدريس ، وهى رسالة كتبها ابو حامد الغزالى عندما دعاه ضياء الملك بن نظام الملك متولى المدرسة النظامية سنة ٥٠٤ هـ/١١١٠ م ، للتدريس فى بغداد . وهذا هو نص الرسالة :

« بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله اجمعين » قال الله تعالى : « ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات »

« الخلق من جهة ما جعلوه قبلتهم ، ثلاث طبقات : عوام اهل غفلة ، وخواص أولو كياسة ، وخواص الخواص وهم ذوو البصيرة . أما اهل

---

(١) ايها الولد ص٤٩ .

(٢) طبع فى طهران سنة ١٣١٨هـ .

الغفلة ، فقد قصروا نظرهم على عاجل الخيرات ، وظنوا نعيم الدنيا هو الخير الاكبر ، وحسبوه أصل البلاد فاقبلوا عليها ، وعدوها قرة عين لهم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما ذئبان ارسلا فى زريبة غنم بأكثر فسادا فيها من حب الشرف والمال فى دين المرء المسلم » ، لم يفرق اولئك الغافلون بين الذئب والصيد ولم يميزوا بين القرة والسخنة ، واصطفوا طريقا اعوجا ، وزعموا انه رفعة . قال رسول الله (ص) ينبئنى بزيفهم هذا : تعس عبد الدينار ، تعيس عبد الدراهم .

وأما الخواص ، فقد اسلمتهم الكياسة والموازنة بين الدنيا والآخرة ان آثروا الآخرة على الاولى ، وهى خير وأبقى ، والباقى أفضل من الفانى المنقضى . فمالوا عن الحياة الدنيا ، وولوا وجوههم شطر الآخرة . ولكن قصر هؤلاء ايضا ، اذ لم يطلبوا الخير المطلق وان قنعوا بما هو أحسن من الدنيا .

وأما خواص الخواص وهم أولو البصيرة ، فقد عرفوا ان ذلك ليس بالخير المطلق وان قنعوا بما هو احسن من الدنيا كل ما دونه من الآفلين ، والعاقل لا يحب الآفل ، ودروا ان الدنيا والآخرة مخلوقان ، وان أكثرها شهوة استوى فيها البهائم والاناسى . وهذه مرتبة لا تبغى لهم . والله مالك يوم الدين وله ملكوت الدنيا وهو خالقها ، وهو خير وأعلى . وقد كشف عن هؤلاء غطاء قوله : « والله خير وابقى » واختاروا مقاما « فى مقعد صدق عند مليك مقتدر » وآثروه على مرتبة « ان اصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون » بل ادركوا حقيقة لا اله الا الله ، وعرفوا ان الآدمى عبد ما قيد به نفسه ، وانه الهه ومعبوده « افرأيت من اتخذ الهه هواه » ومقصد كل نفس معبودها لذلك قال رسول الله (ص) « تعس عبد الدراهم » . فمن كان مقصوده غير الله ، فتوحيد غير تمام ، وهو من الشرك الخفى برىء . وقد قسم هؤلاء كل ما فى الوجود قسمين متقابلين : الله

وما دونه • وهما ككفتي ميزان • جعلوا قلوبهم لسانه • فلما وجدوا طبعهم يميل طوعا مع الكفة الراجحة ، قالوا : قد ثقلت موازين الحسنات وأيقنوا ان ما لم يوفه هذا القسطاس لا يزنه الميزان يوم الحساب •

وحال الطبقة الثانية عند الطبقة الثالثة ، هو مثل الطبقة الاولى لدى الطبقة الثانية : عوام لا يفهمون قبلهم ولا يدرون ان من نظر الى وجه الله تعالى بالحقيقة حسن وجهه •

وقد دعاني صدر الوزارة ــ بلغه الله اعلى المقامات ــ من المحل الادنى الى المرتبة العلية ، فأنا ادعوه من مقام الطبقة الاولى وهو أسفل السافلين الى أعلى عليين وهو مقام الطائفة الثالثة ، قال النبي (ص) : من أحسن اليكم فكافئوه • وانا ان لم أصب سبيلا الى جزائه ومكافآته ، فقد عجزت عن اسعافه بالاجابة • فليهيىء لي أمر السفر من حضيض درجة العوام الى علو درجة الخواص • والطريق الى الله واحدة من طوس وبغداد وسائر البلاد ، ولكن بعضها أقرب من بعض • ولكن ليس تلك الطرائق الثلاث الى الله سواء • ثم ليعرف حق المعرفة انه لو ترك فرضا من الفروض التي أوجبها الله تعالى ، او ارتكب ما حذره الشرع ، أو لذ له النوم وفي البلاد مظلوم واحد يتململ من السقام ، فما درجته الا حضيض المقام الاول وهو من أهل الغفلة ، اولئك هم الغافلون ، لا جرم انهم في الآخرة هم الخاسرون • اسأل الله تعالى ان يقظه من نوم الغفلة لينظر في يومه لغده قبل ان يخرج الامر من يده •

عدنا الى حديث مدرسة بغداد ، وعذر التقاعد عن امتثال اشارة صدر الوزارة • أما لعذر فان الخروج من الوطن لا يلتمس الا ابتغاء زيادة دين او طلب زيادة دنيا • أما الدنيا فقد زال طلبها من القلب والحمد لله تعالى ، فاذا أتوا الى طوس وهيأوا اسباب الملك والمملكة للغزالي ، واسلموها اليه

والتفت اليها ، كان ذلك من ضعف الايمان فالويل من نتائجه ، وأما زيادة الدين فانه يستحق الحركة والاطلاب • ولا ريب ان افاضة العلم هنالك أيسر ، وأسبابه أوفر ، وطلابه أكثر ، ولكن العذر ان السفر يوجب خللا فى الدين لا تسده هـذه الزيادة ، فان ههنا نحو مائـة وخمسين متورعا محصلا مشغولون بالاستفادة ، ونقلهم واعـداد وسـائلهم متعذر ، وتركهم وكسر قلوبهم والسفر لكثرة نظائرهم فى مكان آخر لا رخصة فيه ، مثل ذلك كمثل رجل يكفل عشرة أيتام ثم يعدل عنهم ليتعهدعشرين فى موضع آخر والموت والآفات فى طلبه •

ثم اننى كنت فردا لما دعانى الصدر الشهيد نظام الملك ـ قدس الله روحه ـ الى بغداد ، لا أهل ولا بنون • وقد بليت بالاهل والولد ولا يجوز اغفالهم وكسر قلوبهم •

والعذر الثالث اننى نذرت لما وصلت الى تربة الخليل عليه السلام سنة ٤٨٩هـ/١٠٩٥م ، أى قبل خمس عشرة سنة تقريبا ، الا أقبل مالا من سلطان أو سلطانى والا أخرج للسلام على سلطان أو سلطانى وألا اناظر • فاذا نقضت هـذا النذر ، ضاع الوقت ، وانصرف القلب ، ولـم أستطع شيئا من أعمال الدنيا والدين • ولا بد من المناظرة فى بغداد ولا مناص من السلام على دار الخلافة بها ، وأنا لم أمثل للسلام على أحد فى بغداد منذ رجعت من الشـام ، ولـم أنصرف فى أى شـغل ، واجتنبت الاعتزال ، واذا توليت أمرا لم أستطع الحياة سالما ـ فالباطن حينئذ ينكر الانزواء •

وأعظم هذه المعاذير اننى لا أقبل مالا من السلطان ، وليس عندى فى بغداد ملك ، وباب المعيشة موصد ، وعند هذا الحقير ضُيَيْعَة فى طوس تكفى هذا الضعيف وأطفاله جميعا بعد المبالغة فى الاقتصاد والقناعة • واذا

غبت قصرت عن ذلك • وهذه المعاذير جميعها دينية ، وهي لدى جليلة وان ظنها أكثر الناس يسيرة •

وقد بلغت غايــة العمر • وهــذا ــ على كل حال ــ وقت الوداع للفراق ، ولا وقت سفر العراق • أؤمل من مكارم أخلاقك قبول هــذا الاعتذار • فظُن ان الغزالي أنساه أمر الله وهو قادم بغداد ، الا يجب اعداد مدرس آخر ؟ فاعمل هذا اليوم والسلام • زين الله تعالى صدر العالم بحقيقة الايمان التي هي وراء صورة الايمــان ليعمر العــالم به ، والحمد لله حق حمده • وصلاته على نبيه وآله وسلم • »[١]

هذه هي الرسالة النفيسة التي كتبها الغزالي لضياء الملك بن نظام الملك عندما استدعاه هذا لتولي تدريس نظامية بغداد ، فبين الغزالي امتناعه عن ذلك بمعاذير معقولة ، بعد أن أورد مقدمة قسَّم فيها الخلق الى ثلاث أقسام : عوام أهل غفلة ، وخواص اولو كياسة ، وخواص الخواص ، ثم تكلم على كل قسم من تلك الاقسام ، ثم بين طبقات اولئك •

وقد وردت آراء مشابهة لاراء الرسالة هذه في كتابه « أيها الولد » وقد أوردت من ذلك بعض الامثلة فيما سبق •

ان اعتزال الغزالي عن التدريس وهجره بغداد ، أسبغ على الشيخ الغزالي السمو والمجــد ، حيث أصبح في عداد الخــالدين ، لانه ضرب بذلك مثلا رائعا في تجنب المال والجاه والثروة ورغب في الزهد والصلاح والتقرب الى الله ، وقد ألف في فترة اعتزاله كتابه الكبير : « احياء علوم الدين » •

---

(١) الحمائي : غزالي نامة ص١٩٠ • وقد نشر نص الرسالة في مجلة المجمع العلمي العراقي لسنة ١٩٥٤ •



الغـــزالى والفلاســـــفة

لقد بينا ــ فيما سبق ــ أن عصر الغزالى كان عصرا مضطربا ، تسوده خلافات الفرق ، وتعدد المذاهب • وقد اطلع الغزالى ، على كل هذا ، ولكن راعه انتشار الفلسفة اليونانية لدى طوائف اسلامية كثيرة ، وقد خشى على العقيدة من سطوة الفلسفة وقوتها •

والغزالى كما عهدناه لا يهاجم مذهبا من المذاهب أو مبدءا من المبادىء الا بعد دراسته وبحثه والخروج منه بنتائج دراسية مقنعة ، قال الغزالى : « ثم انى ابتدأت بعد الفراغ من علم الكلام بعلم الفلسفة وعلمت يقينا انه لا يقف على فساد نوع من العلوم من لا يقف على منتهى ذلك العلم ثم يزيد عليه ويجاوز درجته ، فيطلع على ما لم يطلع عليه صاحب العلم من غور وغائلة واذ ذاك يمكن أن يكون ما يدعيه من فساده حقا • ولم أر أحدا من علماء الاسلام صرف عنايته وهمته الى ذلك • »[1]

وقد قسم الغزالى الفلاسفة الى ثلاثة أصناف[2] :ــ

الاول : الدهريون : وهم طائفة جحدوا الصانع وزعموا ان العالم لم يزل موجودا ، وقالوا بقدم الانواع الحيوانية ، وقد عرفوا أيضا باسم الزنادقة •

الثانى :ــ الطبيعيون : وهم الذين أكثروا البحث فى عالم الطبيعة وفى عجائب الحيوان والنبات وفى تشريحها ، فرأوا من عجائب الصنع والحكمة ما اضطرهم الى الاعتراف بقادر حكيم ، ولكن كثرة بحثهم فى الطبيعة أظهرت لهم ان لاعتدال المزاج تأثيرا عظيما فى قوى الحيوان ،

(١) المنقذ ص١٨
(٢) المرجع السابق ص١٩

فظنوا ان القوة العاقلة فى الانسان تابعة لمزاجه ، تبطل ببطلانه ، فاذا انعدم لم تعقل اعادته ، فذهبوا الى انالنفس تموت ولا تعود ،فجحدوا الآخرة وانكروا الجنة والنار والحشر والنشر والقيامة والحساب ، فلم يبق عندهم للطاعة ثواب ولا للمعصية عقاب • وهوءلاء أيضا بنظر الغزالى زنادقة ، لان أصل الايمان ، هو الايمان بالله واليوم الآخر وهؤلاء جحدوا اليوم الآخر وان آمنوا بالله وصفاته •

الثالث : طائفة الفلاسفة الالهيين : وهم المتأخرون ، من امثال سقراط وهو استاذ افلاطون ، وافلاطون استاذ ارسطو ، وارسطو هو الذى رتب لهم المنطق ، وهذب لهم العلوم وحرر لهم ما لم يكن محررا من قبل وانضج لهم ما كان فجاً من علومهم •

أما أقسام علومهم فهى :ـ

١ ـ الرياضيات : وهى تتعلق بالحساب والهندسة وعلم الهيئة ، « وهى أمور برهانية لا سبيل الى مجاحدتها بعد فهمها ومعرفتها » ولا يتعلق شىء منها بالدين نفيا واثباتا[١] •

٢ ـ المنطقيات : وهى العلوم التى ليست لها علاقة بالدين نفيا أو اثباتا[٢] ، وفكرة الغزالى عن المنطقيات ان « اكثرها على منهج الصواب والخطأ نادر فيها ، وانما يخالفون أهل الحق بالاصطلاحات والايرادات دون المعانى والمقاصد ، اذ غرضها طرق الاستدلالات وذلك مما يشترك فيه النظار»[٣] ، والغزالى يعتقد ان الفائدة المتوخاة من المنطق الارسططاليس ليست قاصرة على التوصل الى المجهول بالمعلوم ، بل هى تشمل « تمييز العلم عن الجهل ، وتمييز العلم عنالجهل معناه تكميل النفس وسعادتها»[٤]

---

(١) الغزالى : المنقذ ص٢٠

(٢) الغزالى : المنقذ ص٢٢

(٣) الغزالى : مقاصد الفلاسفة ص٣

(٤) المرجع السابق ص٧

وقد أوضح الغزالى المنطق توضيحا تاما ـ يقول : « ان المنطق يشمل جدواه العلوم النظرية ، العقلية منها والفقهية . فانا سنعرفك ان النظر فى الفقهيات لا يباين النظر فى العقليات فى ترتيبه وشروطه ، بل فى مـآخذ المقدمات فقط[1] ، أى أن النظر فى الفقهيات لا يختلف عن النظر فى العقليات من حيث الصورة ، ولكن الخلاف من حيث المادة فقط[2] .

والغزالى يدعو مخلصا الى الاخذ بالمنطق للتوصل الى حقيقة العلم ، ـ « انه من لا يحيط به فلا ثقة بعلومه اصلا »[3] ـ وعلى اعتبار المنطق منهجا من منـــاهج البحث الموصلة الى اليقين فى جميـع فروع المعرفة الانسانية . ولكن الغزالى عاد يتلمس طريق المعرفة فى الكشف الصوفى أو بمعنى أدق فى التجربة الباطنية . فالغزالى تبين له آخر الامر ما ينتجه تطبيق منطق ارسطو على المسائل الاسلامية وخاصة الالهية من تناقض[4] .

٣ ـ الطبيعيات : ليس من شرط الدين انكارها وهى تبحث عن عالم السموات وكواكبها وما تحتها من الاجسام كالماء والهواء والتراب والنار والحيوان والنبات والمعادن وعن أسباب تغيرها وامتزاجها واستحالتها .

٤ ـ الالهيات : وفى هذه اكثر اغاليط الفلاسفة فما قدروا على الوفاء بالبراهين على ما شـرطوه فى المنطق ولذلك كثر الاختلاف بينهم فيهـا ، والغلط فيهـا فى عشرين مسـألة ، وقد كفرهم الغزالى فى ثلاث منها ، وبدعهم فى سبع عشرة .

وقد حاول الغزالى جهده ، ابطال نظريات فلسفية من بين نظريات الطبيعيين والالهيين ، أهمها نظرية قدم العالم ، والقول بان الله لا يعلم الا

---

(١) الغزالى : معيار العلم ص٢٦
(٢) النشار : مناهج البحث ص١٣٢
(٣) الغزالى : المستصفى حـ١ ص١٠
(٤) النشار : مناهج البحث ص١٣٧

الكليات ولا يعلم الجزئيات ، وانكار بعث الاجساد والقول بأن الارواح وحدها هى التى يجوز عليها الفناء[1] • والغزالى حين يبطل هذه النظريات فذلك لانها تخالف المعتقد الاسلامى نصا وروحا •

ان أشهر كتب الغزالى فى الفلسفة ، هو كتاب « تهافت الفلاسفة » وقد كتب مقدمة له ــ هو « المقاصد » ــ قَصَّ فى المقاصد آراء الفلاسفة كما هى ، وفى التهافت عرض لنقده للفلسفة اليونانية ، ثم قدم لنا مذهبه الفلسفى المنبثق عن الكتاب والسنة •

ومن الواضح ان تهافت الفلاسفة كان الغزالى قد ألفه فى بغداد ، أيام اشتغاله مدرسا فى النظامية ، فقد عثر الأب « بويج » فى احدى المخطوطات التى اعتمد عليها عند نشره لكتاب تهافت الفلاسفة وهو مخطوط فى مكتبة الفاتح باستنبول ، ان الفراغ من تأليفه ، وقع فى الحادى عشر من المحرم سنة ٤٨٨هـ ، والغزالى يصرح فى كتابه المنقذ من الضلال بأن خروجه من بغداد كان فى ذى القعدة سنة ٤٨٨هـ فهذا واضح ان الكتاب ألف فى بغداد كما أسلفنا •

وقد اتخذ الغزالى المنطق خير سلاح يهاجم به الفلاسفة الذين هم فى نظره أشد خطرا على الدين من غيرهم لما غلب على الناس من حب كتبهم وحسن الظن فى علومهم • فخطرهم على الدين يرجع الى كونهم رفضوا العبادات واحتقروا شعائر الدين واستهانوا بالشرع وحدوده ، وانكروا الاديان والملل واعتقدوا انها نواميس مؤلفة وحيل مزخرفة فتحملوا بالكفر واظهروا التكايس فى تقليد الباطل • قال الغزالى :ــ « ولما رأيت هذا العرق من الحماية على هؤلاء الاغبياء ، انتدبت لتحرير

---

(١) راجع : تاريخ الفلسفة فى الاسلام ص٣٣١ وما بعدها وتعليقات الاستاذ ابو ريدة •

كتاب التهافت ، ردا على الفلاسفة القدماء ، مبينا تهافت عقيدتهم وتناقض كلمتهم فيما يتعلق بالالهيات ، وكاشفا عن غوامض مذهبهم ، التى هى على التحقيق مضاحك العقلاء . »[1]

أما خطر الفلاسفة الاخلاقى فيرجع الى انهم اهملوا احكام الشريعة فشربوا الخمر واعرضوا عن الصلاة ، وقد كتب الغزالى فى الاخلاق ، فأجاد فى هذا الباب ، وترك أبقى الآثار وارفعها شأنا ، ضمنهـا كتـابه الشهير « احياء علوم الدين » وقد نهج الغزالى ، فى فلسفة الاخلاق ، الناحية الدينية من حيث النظر والتقدير والنـاحية التحليلية النفسية من حيث التناول والتفسير .

لقد قلت فيما سبق : ان الغزالى حين يرد على الفلاسفة لا يرد عليهم وهو جاهل لعلومهم ومفاهيمهم ، بل يرد عليهم بعد دراسة وبحث لآرائهم وتآليفهم ، ليظهر عجز العقل عن الخوض فى مسائل ما بعد الطبيعة ،وكان الغزالى بناء جديدا فى التوجيه القائم على أساس الكشف الباطنى والوحى القلبى ، فانه شك فى علم الكلام وشك فى مذهب التعليم وشك فىالفلسفة وشك فى العقل ، وانحلت عنه رابطة التقليد وطلب العلم اليقينى « وهو العلم الذى ينكشف فيه المعلوم انكشافا لا يبقى معه ريب ولا يقارنه امكان الغلط والوهم »[2] ، فوجد علومـه غير متصفـة بهذه الصفة وطمع فى اقتباس اليقين من الحسيات ، فلما تأملها لم تطمئن نفسه لها ، لان حاكم العقل كثيرا ما يكذب حاكـم الحس ويخونه ويبطله ، فلمـا بطلت ثقته بالحسيات تأمل الضروريات العقلية وكاد يثق بها لولا اعتراض الحسيات وقولها : لعل وراء العقل حاكما آخر ، اذا تجلى كذب العقل فى حكمه كما تجلى حاكم العقل فكذب الحس فى حكمه .

---

(١) تهافت الفلاسفة ص٦

(٢) المنقذ ص١١

أما مسألة قدم العالم ، النظرية التى جاهد الغزالى فى سبيل ابطالها ، فملخصها :ـ اعتقاد الفلاسفة ، ان العـــالم قديم ، موجود مع الله ، غير متأخر عنه ، ويقولون ان العالم كرة متناهية فى الامتداد ، واعتقد الفلاسفة ان تقدم البارى على العالم تقدم بالذات والرتبة ، لا بالزمان ، وقالوا : انه يستحيل صدور حادث من قديم ، وقالوا : ان الشيء لايمكن ان ينتج الا مثله، فاذا فرض وجود القديم، فأماان يوجدعنه العالم على الدوام فيكون قديما مثله، وأما ان يتأخر . والغزالى يرد على هذه النظرية بنظرية ايجابية فى الواقع ، لانها ليست مجرد معارضة[1] ، فيقول : « العـالم حدث بارادة قديمة اقتضت وجوده ، فى الوقت الذى وجد فيه وان يستمر العدم الى الغاية التى استمر اليها ، وان يُبتدأ الوجود من حيث ابتدىء ، وان الوجود قبله لم يكن مرادا ، فلم يحدث لذلك وانه فى الوقت الذى حدث فيه مراد بالارادة القديمة»[2]. ولا يطعن فى هذا كون الاوقات متساوية فى تعلق الارادة بها[3].

حاول الغزالى ، أن يبين ان الفلاسفة ، قالوا بحركة بعض الافلاك من المشرق الى المغرب وبعضها الآخر بالعكس ، مع تساوى الجهات وامكان حركة كل فلك على عكس ما هو عليه ، وقالوا أيضا بأن لكرة الســماء نقطتين ثابتتين هما القطبان الشمالى والجنوبى ، والسماء تتحرك على هذين القطبين ، وكل نقطتين متقابلتين ، تصلحان لان تكونا قطبين لان السماء كرة بسيطة متشـابهة الاجزاء ، وقد الزم الامام الغزالى هؤلاء الفلاســفة القول بصدور الحادث عن القديم بدليل منطقى محكم هو :ـ ان فى العالم حوادث ، ولها أسباب فان استندت الحوادث الى الحوادث الى غير نهاية فهو محال ، وليس ذلك معتقد عاقل ، ولو كان ذلك ممكنا لاستغنيتم عن

(١) تاريخ الفلسفة فى الاسلام : ص٣٣٣ تعليق الاستاذ ابو ريدة
(٢) تهافت الفلاسفة ص٨
(٣) تاريخ الفلسفة فى الاسلام ص٣٣٣

الاعتراف بالصانع واثبات واجب وجود ، هو مستند الممكنات ، واذا كانت الحوادث لها طرف ينتهى اليها تسلسلها فيكون ذلك الطرف هو القديم ، فلا بد اذن على من تجويز صدور حادث من قديم •

وناقش الغزالى فى فعل الله ، وقد قالوا ان الله فاعل على نحو فعل الطبيعة وهم يطلقون الفاعل على ما هو سبب فى الجملة ، وبين لهم ان الطبيعة لا تعمل بنفسها عملا بل هى مسخرة ومستعملة من جهة فاطرها •

والامام الغزالى يرد على الفلاسفة الذين قالوا ان تقدم البارى على العالم بالذات وأما أن يكون البارى متقدما على العالم بالزمان فبذلك يعتقد الفلاسفة قبل العالم زمان كان العالم فيه معدوما ، فقبل الزمان زمان لا نهاية له ، فالزمان قديم واذا وجب قدم الزمان وهو عبارة عن قدر الحركة وجب قدم الحركة ووجب قدم المتحرك الذى يدوم الزمان •••• بدوام حركته •

ويناقش الغزالى هؤلاء الفلاسفة ، لقولهم هذا ، فيقول :ـ « ان الزمان حادث مخلوق ، ومعنى تقدم الله على العالم والزمان أنه كان ولا عالم معه ، ثم كان ومعه عالم ، وأما مفهوم الزمان الذى قال به الفلاسفة فهو من غلط الوهم ، لان الوهم يعجز عن تصور وجود مبتداء الا مع تقدير ، قبل ، له ، وهو كذلك يعجز عن تصور تناهى الجسم فيتوهم ان وراء العالم شيئا اما خلاء واما ملاء ، وقال الفلاسفة بتناهى العالم فى الامتداد واحالوا وجود شىء خارج عنه معتبرين هذا الشىء من عمل الوهم ،كذلك قال الغزالى بحدوث العالم واستحالة وجود زمان قبله لان ذلك فى نظره من عمل الوهم • وقال الفلاسفة ان كل حادث لا بد له من مادة قديمة تسبقه وانما الحادث هو الصور والكيفيات ، والغزالى يجيب هؤلاء : ان الامكان والامتناع والوجوب أمور عقلية لا تحتاج الى موجود يوصف بها فكل ما قدر العقل وجوده فلا يمتنع عليه تقديره سميناه ممكنا •

والغزالى الذى ابطل هذه النظرية واظهر تناقض الفلاسفة ، أظهر أيضا أدلة مختلفة على حدوث العالم وجعل مسألة عدم تناهي الزمان مماثلة لمسألة عدم تناهي المكان ، فاذا كنا لا نتصور للزمان مبدأ ونهاية فكذلك لا نقدر ان نتصور للمكان حدودا ، ولو قيل ان المكان يتعلق بالحس الظاهر وان الزمان يتعلق بالحس الباطن لما تغير من المسألة شيء لاننا مع هذا لا نخرج من المحسوس ، فالبعد المكانى تابع للجسم والبعد الزمانى تابع للحركة .

وقد نجح الغزالى فى ابطاله لهذه النظرية وغيرها من النظريات التى كانت قد انتشرت فى القرون الوسطى ، ويعتبر الغزالى فى نظر الكثير من المفكرين محطم الفلاسفة نهائيا فى المشرق . والغزالى كما قلت اعتمد فى رده على الفلاسفة ، على نفس سلاحهم وهو المنطق ولكنه اتخذ مادته من العقائد الايمانية ، لذلك قال الغزالى : « ان الفلاسفة اقتصروا فى اصول المعرفة على طريق الاستدلال والتعلم واهملوا العلم الحاصل فى النفس عن طريق الوحى والالهام » .

وقد وصل الغزالى من دراساته ، الى ان العقل ليس مستقلا بالاحاطة بجميع المطالب ولا كاشفا الغطاء من جميع المعضلات ، وانه لا بد من الرجوع الى القلب وهو الذى يستطيع أن يدرك الحقائق الالهية بالذوق والكشف وذلك بعد تصفية النفس بالعبادات والرياضيات الصوفية وهو بذلك حاول ان يخضع العلم والعقل للوحى والدين لكى يصل الى الحقيقة العليا .

الفصل الرابع

أ ـ آراء الغزالى فى التربية والتعليم
ب ـ ايامه الاخيرة
ح ـ أثر الغزالى فى الفكر الاسلامى

آراء الغـزالى فى التربيـة والتعليـــم

للغزالى آراء جليلة فى حقل التربية والتعليم ، هذه الآراء التى تبين لنا واجبات الوالدين تجاه طفلهما كما توضح واجبات المتعلم والمعلم ، وان آراء الامام الغزالى وأفكاره مستمدة من صميم الحيـاة ، نتيجة التجارب والخبرة وهى لا تختلف فى شىء عن كثير من الآراء التربوية الحديثة • والغزالى كما هو معروف تعلم وهو صغير على أيدى اساتذة كثيرين وحصل على معارف كثيرة وولى تدريس النظامية ثم اعتزل التدريس ، ثم عاد ثانية اليه ، وكان الغزالى متزوجا وله أولاد أشرف على تربيتهم ، فالغزالى حين يقدم آراءه فى التربية والتعليم يبينها عن تجربة وتطبيق • وحين يتكلم الامام الغزالى انما يتكلم متأثرا بما عليه الحال فى القرون الوسطى التى عاش فيها ، كما نجد العامل الدينى واضحا فى آرائه ، والجانب الصوفى بارزا فيها ، والغاية عنده من العلم بلوغ النفس كمالهـا لتسعد بكمالها مبتهجة بما لها من البهاء والجمال ، كما كان الغزالى يقول : ان تحصيل العلم عبادة بل هو أفضل العبادات •

وللغزالى آراء نفيسة فى علم النفس سبق بها بعض الآراء الحديثة التى قامت وفق الاعتبارات العلمية الدقيقة • أما آراؤه التربوية فانها فى الحق لآراء جليلة النفع كبيرة الفائدة وسأجمل فيما يأتى بعض النصائح التى خلفها لنا الامام الغزالى فى اصول تربية الطفل :

١ ـ ان تؤدب أخلاق الولد •
٢ ـ أن يحفظ من قرناء السوء •
٣ ـ ألا يعود التنعم ولا يحبب اليه الزينة وأسباب الرفاهية •
٤ ـ أن لا يستعمل فى حضانته وإرضاعه الا امرأة صالحة متدينة •

٥ ـ أن يحبب اليه من الثياب البيض دون الملون والأبريسم •

٦ ـ ان يمنع من النوم نهارا فانه يورث الكسل •

٧ ـ ان يعلم الولد آداب الاكل •

٨ ـ أن يكرم الولد ويحمد على ماجاء من الجميل ويتغافل عما جاء به من القبيح •

٩ ـ ان يشغل فى المكتب فيتعلم القرآن وأحاديث الاخيار وحكايات الابرار •

١٠ ـ أن يعود الخشونة فى المفرش والملبس والمطعم •

١١ ـ يعود ان لا يكشف اطرافه ولا يسرع المشى ولا يرخى يديه•

١٢ ـ يمنع من أن يفتخر على اقرانه بشىء يملكه والده •

١٣ ـ اذا ضربه المعلم ان لا يكثر من الصراخ والشغب ولا يستشفع بأحد •

١٤ ـ وينبغى ان يؤذن له بعد الانصراف من الكتاب أن يلعب لعبا جميلا فيستريح اليه من تعب الكتب •

هذه هى آراء الغزالى فى تنشئة الصبيان وتعليمهم فنجد تأثير العامل الدينى واضحا كما نرى أثر عقلية القرون الوسطى بارزا ، ولكن الغزالى كان موفقا جدا فى بعض آرائه التى ان دلت انما تدل على تفهمه للطبيعة الانسانية فمثلا فى الفقرة «١٢» نجد الغزالى يؤكد بعدم السماح للطفل أو تعويده بأن يدل اقرانه بشىء يملكه والده لان ذلك يؤدى بالطفل الى المكابرة وهو أمر مذموم ، كما انها تؤثر فى نفسية الاطفال الآخرين الذين حرموا من ذلك الشىء الذى امتلكه والد الطفل المتفاخر • كما نجد فى الفقرة «١٤» ان الغزالى اهتم بناحية التنفيس عن تعب الطفل بعد الدرس فأوصى بأن يلعب لعبا جميلا كى يستريح من تعب المكتب • كما لاحظ

الغزالى اهمية التشجيع للطفل على الاعمال الحميدة التى يقوم بها ، وطالب بغض النظر عما يجىء به الطفل من عمل قبيح ، لان الطفل عندما قام بذلك العمل انما جاء به دون قصد فلا يعاقب أو يوبخ لان ذلك يؤثر فى نفسية الطفل بل يكتفى بالنصيحة وبيان مساوىء واضرار ذلك العمل . ونجد الامام الغزالى يهتم بتعويد الاطفال على الخشونة ، ومن يدرى فقد يكون الامام الغزالى متأثرا بالنظم اليونانية (الاسبارطية) التى تهتم بتعويد الطفل على الخشونة .

أما واجبات المتعلم كما يراها الغزالى فهى :

١ - تقديم طهارة النفس عن رذائل الاخلاق ومذموم الاوصاف .

٢ - ان يقلل علائقه من الاشتغال بالدنيا ويبعد عن الاهل والوطن .

٣ - أن لا يتكبر على العلم ولا يتآمر على المعلم بل يلقى اليه زمام أمره بالكلية فى كل تفصيل ويذعن لنصيحته اذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق .

٤ - ينبغى أن يتقن اولا الطرق الحميدة الواحدة المرضية عند استاذه ثم بعد ذلك يصغى الى المذاهب .

٥ - ان لا يدع طالب العلم فنا من العلوم من المحمودة ولا نوعا من أنواعه الا وان ينظر فيه نظرا يطلع به على مقصده وغايته .

٦ - ان لا يخوض فى فن من فنون العلم دفعة واحدة بل يراعى الترتيب ويبتدىء بالاهم .

٧ - ان لا يخوض فى فن حتى يستوفى الفن الذى قبله .

٨ - أن يعرف السبب الذى به يدرك اشرف العلوم وان ذلك يراد به شيئان احدهما شرف الثمرة ، والثانى وثاقة الدليل وقوته .

٩ ـ أن يكون قصد المتعلم فى الحال تحلية باطنه وتجميله بالفضيلة •
١٠ـ ان يعلم نسبة العلوم الى المقصد كيما يؤثر الرفيع القريب على البعيد •

نجد ان الغزالى فى نصائحه للمتعلم يحاول ايضا الاهتمام والتأكيد على العنصر الاخلاقى فى التوجيه ، كما طالب من الانسان المتعلم ان يكون فى حالة طاعة تامة لمدرسيه ، وان يطرق جميع الفنون وان يراعى الترتيب فيها ولا يخوض فى فن من الفنون الا بعد اتمام الفن الذى يسبقه • وقد أكد الغزالى أيضا على التلميذ ان يقلد استاذه فى أخلاقه الحميدة وبعد اتقانه تلك يصغى على ما يلقنه ذلك الاستاذ من علوم وآداب • والغزالى عنده غاية التعلم بلوغ النفس كمالها وقصد المتعلم تحلية باطنه وتجميل نفسه بالفضيلة •

أما نصائح الغزالى للمعلم المرشد فهى :

١ ـ الشفقة على المتعلمين وان يجريهم مجرى بنيه •

٢ ـ ان يقتدى بصاحب الشرع (ص) فلا يطلب على افادة العلم اجرا ولا يقصد جزاء ولا شكرا بل يعلم لوجه الله تعالى •

٣ ـ ان لا يدع من نصح المتعلم شيئا وذلك بأن يمنعه من التصدى لرتبة قبل استحقاقها والتشاغل بعلم خفى قبل الفراغ من الجلي •

٤ ـ ان يزجر المتعلم عن سوء الاخلاق بطريق التعريض ما أمكن ولا يصرح وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ •

٥ ـ ان المتكفل ببعض العلوم ينبغى الا يقبح فى نفس المتعلم العلوم التى وراءه كمعلم اللغة اذ عادته تقبيح علم الفقه ومعلم الفقه عادته تقبيح علم الحديث والتفسير •

٦ ـ ان يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه فلا يلقى اليه ما لا يبلغه عقله •

٧ ـ ان المتعلم القاصد ينبغى ان يلقى اليه الجلى اللائق به ولا يذكر له ان وراء هذا تدقيقا وهو يدخره عنه •

٨ ـ ان يكون المعلم عاملا بعلمه فلا يكذب قوله فعله •

هذه النصائح الجليلة التى اتحفنا بها الامام الغزالى ، وهى مستمدة من التجارب الطويلة والخبرات الكثيرة فهى من صميم الواقع •

فقد طالب المعلم ان يكون بارا بطلابه وان يكون صادقا معهـم فى تعليمه وان لا يبتغى أجرا من وراء ذلك ، والمهم فى كل ذلك نصيحة الغزالى للمعلم ان يعطى طلابه ما يعلم ولا يزيد عليه ما لا يبلغه عقله • أما العقاب فقد أوضحه الغزالى بقوله : ان يزجر المتعلم من سوء الاخلاق بطريق التعريض ما امكن ولا يصرح وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ ، وهنا لاحظ الامام الغزالى أهمية العقاب وتأثيره فى نفس المتعلم لان الطالب اذا شعر بالضغط والتوبيخ والمس فى كرامته أحس ببغض وحقد لذلك الدرس ومعلمه • وبذلك تفقد الغاية المتوخاة وهى حالة التشويق التى يجب ان توفر لطالب العلم كى يقبل على الدرس وبرغبة اكيدة وشوق كبير •

ونصح المعلم ان يلقى من العلم ما يقدر الطالب على فهمه ولا يلقى على الطالب ما لا يقدر على فهمه ولا يبلغه عقله • كما طالب المعلم ان يكون قدوة حسنة للطالب ، فيكون عاملا بعلمه ولا يكذب قوله فعله ، فلا ينصح الطالب مثلا الى اجتناب كذا ، ويقترف هو نفسه ذلك كالذين « يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم » لان ذلك يعطى انطباعا سيئا للطـالب عن مدرسه ، فيفقد الاحترام المطلوب •

ايامـــه الاخـــيرة

عاد الغزالى من رحلته الطويلة التى استغرقت عشر سنوات والتى زار فيها الشام وفلسطين والحجاز ومصر وآخر ما وصل اليه فى تلك الرحلة مدينة الاسكندرية التى أقام بها مدة ثم رجع آيبا بعد ان سمع بموت الامير يوسف بن تاشفين كما يخبرنا بذلك بعض المؤرخين • وبينما هو فى أواخر أيام تلك الرحلة أخذ عقله ينازع نفسه وبدأ صراع نفسى عند الغزالى لما رأى من غواية الناس وتأثير الافكار الدخيلة ومذاهب المبتدعة فيهم ، وفى هذه اللحظات بدأ التردد يظهر فى الغزالى كما يرويها هو فى كتابه « المنقذ من الضلال » هل يبقى على عزلته عن الناس ام يخوض أمواج ذلك البحر الهائج لينقذ الناس ممـا وقعوا فيه من الضلال وندع الامام الغزالى يوضح لنا ذلك :

« فلما رأيت اصناف الخلق قد ضعف ايمانهم الى هذا الحد بهذه الاسباب ورأيت نفسى لازمة مجتهدة ملبة كشف هذه الشبهة حتى كان افضاح هؤلاء أيسر عندى من شربة ماء لكثرة خوضى فى علومهم وطرقهم اعنى طرق الصوفية والفلاسفة والتعليمية والمتوسمين من العلماء ، انقدح فى نفسى ان ذلك متعين في هذا الوقت محتوم • فماذا تغنيك الخلوةوالعزلة وقد عم الداء ومرض الاطباء واشرف الخلق على الهلاك ثم قلت فى نفسى متى تشتغل انت بكشف هذه الغمة ومصادفة هذه الظلمة والزمان زمان الفترة والدور دور الباطل ولو اشتغلت بدعوة الخلق عن طرقهم الى الحق لعاداك اهل الزمان بأجمعهم وأنى تقاومهم • فكيف تعايشهم ؟ ولا يتـم ذلك الا بزمان مساعد وسلطان متدين قاهر فترخصت بينى وبين الله تعالى بالاستمرار على العزلة وتعللا بالعجز عن اظهار الحق بالحجة ، فقدر الله تعالى ان حرّك داعية سلطان الوقت من نفسه لا بتحريك من خارج فأمر

أمر الزام بالنهوض الى نيسابور لتدارك هذه الفتنة . ويقول الامام الغزالى :

فشاورت جماعة من ارباب القلوب والمشاهدات فى ذلك فاتفقوا على الاشارة بترك العزلة والخروج من الزاوية . ويقول : ويسَّر الله الحركة الى نيسابور للقيام بهذه المهمة فى ذى القعدة سنة ٤٩٩ هـ وكان الخروج من بغداد فى ذى القعدة سنة ٤٨٨هـ .

واستمر الغزالى يقول : وانا اعلم انى وان رجعت الى نشر العلم فما رجعت فان الرجوع عود الى ما كان وكنت فى ذلك الزمان انشر العلم الذى يكسب الجاه وادعو اليه بقولى وعملى وكان ذلك قصدى ونيتى ، وأما الآن فادعو الى العلم الذى به يترك الجاه ويعرف به سقوط رتبة الجاه ، هذا الآن نيتى وقصدى وامنيتى يعلم الله ذلك منى[1] .

نرى فى هذا النص المقتطف من كتابه الجليل « المنقذ من الضلال » شعور الغزالى بضرورة رجوعه الى بلاده « لتدارك تلك الفتنة » ليظهر هناك بمظهر المصلح كما كان يرى نفسه أو كما كان يرى فى ذلك واجبا عليه وعاد الى نيسابور ولكنه لم يعد لطلب المال أو الجاه من وراء التدريس وانما عاد لنشر العلم والمعرفة لوجه الله تعالى .

وظل الامام الغزالى فى نيسابور مدرسا مدة عاد بعدها الى طوس ، فدعاه ضياء الملك بن نظـام الملك متولى المدرسـة النظـامية سنة ٥٠٤ هـ للتدريس فى بغداد فاعتذر كما هو واضح فى الرسالة التى ادرجتها فى هذا البحث ، واعتذر بان له ضيعة فى طوس تكفيه وأطفاله ، كما اعتذر بعلو السن ، وقد بنى بجوار داره مدرسة للفقهاء ومأوى للصوفية .

وتوفى فى ١٤ جمادى الثانية سنة ٥٠٥هـ/١١١١م ودفن بالقرب من قبر الشاعر الفارسى ، الفردوسى الشهير .

---

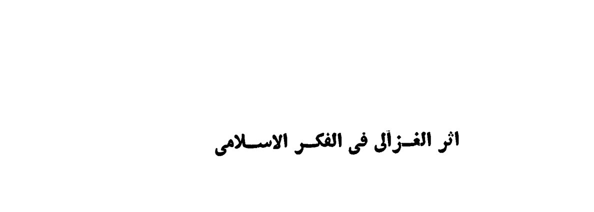
(١) المنقذ : ص ٤٨ـ٥٠

وهكذا خفت ذلك النور الساطع الذى شق حجب الظلمات فى الاحن ، وسكت ذلك اللسان الذى اسكت الفلاسفة واعداء الاسلام الاحسن ، وسكت ذلك اللسان الذى اسكت الفلاسفة وجمهور المبتدعة بمنطقه السليم وحججه البارعة ، وشخصيته الفذة القوية .

مات الغزالى وظل الشغل الشاغل للناس ، فقد اخذ رحمه الله وقتا طويلا من البحث ، ويعتبره الدكتور زويمر ، من عظماء الاسلام فيقول : « كل باحث فى تاريخ الامام يلتقى بأربعة من اولئك الفطاحل العظام وهم محمد (ص) والبخارى والاشعرى والغزالى » .

وقد كتب عنه كثير من المؤرخين والباحثين منهم ماكدونالد وشمولدرز ودى.بور والاب بويج وماسينيون وجولدزيهر والدكتور زويمر ، أما المؤرخون المسلمون ، فقد بحثوا فى شخصية الرجل واعجبوا بها اعجابا كبيرا واشهر من كتب عنه : ابن الجوزى وابن الأثير وابن خلكان والسبكى وغيرهم من كبار المؤرخين وكان اكثر الباحثين اعجابا به الامام السبكى مصنف كتاب « الطبقات الشافعية الكبرى » حيث قال فى الغزالى : لو كان نبى بعد محمد لكان الغزالى .

رحم الله الغزالى ونور ضريحه ، فقد كان عالما بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى ، أدبا وعلما وتواضعا وحسن طريقة . كما كان صوفيا مسلما زاهدا متقشفا ، واستاذا فاضلا شهدت له المنابر علمه الزاخر وطريقته البديعة فى الدرس والبحث .



اثر الغزآلى فى الفكر الاسلامى

لقد بحثنا عن الغزالى فى نشأته ودراسته وسلوكه فى المجتمع فظهر لنا ان الرجل كان من طراز خاص ونموذجا للمسلم المؤمن العالم ، فنشوؤه ودراسته ومؤلفاته كانت لها الآثار البعيدة فى توجيه الجيل ، جيل المسلمين من القرن السادس الهجرى وما بعده ، وكانت آثاره واضحة جلية ، فى قوة المعتقد الدينى وخفوت المبادىء الدخيلة والافكار الطارئة • والغزالى فى الحق شخصية القرن السادس الهجرى العلمية ، كما اتفق العلماء والمؤرخون على اعتبار الامام الاشعرى شخصية القرن الرابع الهجرى والباقلانى شخصية القرن الخامس الهجرى •

والامام الغزالى كغيره وجد المؤيدين ووجد المعارضين فى حياته وبعد مماته • وكان من أشد خصوم الغزالى الفيلسوف العربى ابن رشد ٥٢٠هـ ــ ٥٩٥هـ ، وكان ابن رشد متأثرا بالفلسفة الاغريقية ، لذا فانه شديد الدفاع عنها فى حين ان الامام الغزالى كان هجومه على الفلاسفة دفاعا عن الروح الاسلامية وحفاظا على العقائد وذودا عن حياض الدين • وابن رشد هاجم الغزالى فى كتابه الشهير « تهافت التهافت » الذى دافع فيه عن الفلسفة واظهر خالص الاحترام لارسطو ، وقد اتهم ابن رشد خصمه الغزالى بانه سفسطائى كما اتهمه بانه سريع الاخذ بأبسط الخطأ المنسوب الى الحكماء •

وللغزالى خصم شديد آخر هو ابن القيّم الجوزية والذى نقد الغزالى فى عشرين مسألة كلها تدور حول اسراف الصوفية فى الابتعاد عن المظاهر الاسلامية ، وأهم تلك المسائل : قول الغزالى : « ليس فى الامكان ابدع مما كان » • فقد اعتبر ابن القيّم تلك الكلمة ما يوهم العجز فى قدرة الله تعالى • وقد فات ابن القيّم ، ان الغزالى لا يقصد بتلك

الكلمة عجز البارى عن ذلك ، انما الذى ارجحه ان الامام الغزالى يقصد انه ليس هناك أبدع من هـذا العمل العظيم الذى صنعه الله تعالى ، ذلك العمل الذى لو تظافرت الانس والجن على ان يعملوا مثله لم يقدروا ولن يقدروا ابدا وليس هناك ابدع صنعا مما خلق الله وصنع •

يمتاز الغزالى بانه قرب الدين من العقل الاعتيادى وكشف دقائقه امام اذهان العامة فى حين ان الكثيرين من الفقهاء ورجال الدين فى عصره والعصور التى سبقته ساروا فى تفكيرهم على أساس من الغموض وفى بحار من المعميات والاسرار • وهو حين قرب الدين من العقل الاعتيادى لم ينزل به بل رفع الايمان من حضيض السذاجة الى قوة التفكير العالى •

ان من آثاره العظيمـة فى النفس الانسـانية ، ابحـاثه الاخلاقية ونصائحه الجليلة خاصة تلك التى ضمنها كتابه النفيس «احياء علوم الدين»• وقد نهج الغزالى فى بحث الاخلاق نهجا دينيا صرفا من حيث النظر والتقدير والناحية النفسية من حيث التناول والوصف والتفسير •

ان الغزالى كان تأثيره بعيدا جدا على الصوفية ، فهو الذى سلك طريقهم وأوضح تعـاليمهم وجعلهـا من الطرق التى لا يشك فى عقيدة اهلها ، وعززها وطبقها على الشرع وطبق الشرع عليها وزاد فى تكريمها حتى صارت ذات مكانة عالية بين عموم السنيين المسلمين بل بين جميع الفرق الاسلامية •

وقد درس الغزالى الفلسفة وشرحها وهاجم الفلاسفة ونقدهم نقدا علميا منطقيا ، وبذلك يكون قد حفظ العقائد الدينية الاسلامية من الضعف، والعقول من التبليل والاضطراب •

انه ادخل عنصر الخوف عند المسلمين من جديد ، خوفهم من القيامة والحساب والجحيم وقد اكثر من هذه فى كتابه « الدرة الفاخرة » وكان

لهذه الاقوال والكتابات اثرها الكبير فى قلوب المسلمين ، وجعلت الكثير منهم يبتعدون عن المساوىء والاخلاق غير الحسنة .

وان آراء وتعاليم الغزالى فى التربية والتعليم المستمدة من التجارب والخبرة والواقع كان لها أثرها البليغ فى تربية النشء من المسلمين حيث أخذ المؤدبون والمدرسون يطبقون تلك التعـاليم والنصائح فى مدارسهم وكانت نتائجها طيبة .

وكان الغزالى انسانيا بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى وكان نظره صافيا فى الخليقة الانسانية وانه احسن اعتقاده فى النشأة فجعلها خيرا ، وابتعد عن العنصرية ، وعنده الانسان الخير هو الذى يعمل لخير الانسانية، فكانت لهذه الافكار آثارها فى الجماعة الاسلامية لما له من الاحترام وسعة النفوذ وقوة الشخصية .

وكانت طريقته فى البحث العلمى التى سار عليها خير طريقة اتبعها الجيل الذى جاء بعده والذى صار يعتمد على الدراسة والبحث والاستقصاء، لا على نقد الشىء دون دراسته وفهمه .

الفصل الخامس

أ ـ تراثـــه العلمـــى
ب ـ اشهر الدراسات عن الغزالى ومؤلفاته



تراثـــه العلمـــى

لقد ألف الغزالى فى كثير من فروع العلم المختلفة ، فقد كتب فى الفقه واصوله ، والمناظرة والفلسفة والجدل والتوحيد ، وقد حفظت اكثر مؤلفات الغزالى ، وهذا دليل على اهتمـام الناس بهـا وشعورهم بأهميتها وفوائدها ، كما يدل على سعة انتشارها فى العالم الاسلامى . واننى الآن أتصور كيف كانت مؤلفاته تزين مكتبات المدرسـة النظامية والمستنصرية وغيرهما من مكتبات المدارس الاسلامية ، كما ويعتصرنى الالم الشديد حين أتصور كيف وقعت بعض مؤلفات هذا العـالم الكبير بيد المحتلين المغول وتناثرها تحت سنابك الخيل وبعثرتها فى نهر دجلة .

الا ان الحريصين على اقتنائها والاحتفاظ بها ، حفظوا لنا هذا التراث الضخم وصانوه من التلف والضياع ، كما ان المستشرقين والرحالة الاجانب الذين زاروا مدن الشرق عامة وبغداد خاصة ، حاولوا جاهدين ان يلتقفوا ويقتنصوا الكتب الثمينة ، وكان فيهـا الـكثير من مؤلفات الغزالى ، والتى أصبحت من أنفس ما تمتلكه المكتبات الكبيرة فى بلاد الغرب .

واننا اذ نذكر هنا ما خلفه الغزالى من تراث كبير ، لا بد وان نشير الى ان بعض الناس قد نسب اليه مؤلفات لم تكن من تصنيفه أو تأليفه[١] ، فعليه تجدر هنا ملاحظة الدقة فى اثبات مؤلفاته الحقيقية .

لقد طبع الكثير من مؤلفـات الغزالى ، وقد اعيـد طبع بعض تلك المؤلفات عدة مرات ، ولكن لا يزال هناك الكثير ايضا من مؤلفات هذا العالم الاسلامى فى عـداد المخطوطات المحفوظة فى مكتبـات مختلفة من

(١) راجع المجهود القيم الذى قدمه الدكتور عبدالرحمن بدوى « مؤلفات الغزالى » .

العالم ، ومن يدرى فمن الجائز ان تكون دودة الارض قد نخرت صفحات بعض تلك النفائس ان لم تكن قد أتلفتها ، فيا حبذا لو ينبرى الى دراستها وتحقيقها شبابنا الطالع ، فينقذوا تلك النفائس من التلف ويحفظوها من الضياع ، ويقدموا اجل خدمة للعلم والثقافة الانسانية •

فى الصفحات المقبلة سنذكر تراث هذا العالم الفكرى ، مع ملاحظة، تلك هى انى سأثبت هنا تآليف الغزالى الحقيقية والتى لا يشوب حولها أى شبهة أو ظن ، هذا مع الاشارة الى حقيقة مهمة ايضا ، واعتبرها من تراث ذلك الرجل ، تلك هى جهاده الروحى العظيم وحفاظه على عزة نفسه وكرامة شخصيته ، وزهده فى الدنيا والابتعاد عن مفاتنها ومباهجها ، وكان هذا على ما أراه ، المثل الحى للآداب الحسنة والاخلاق الفاضلة ، وتلك لعمرى احفظ التراث ، انه التراث الروحى الخالد •

والآن نذكر كما قلنا تراث الغزالى ، من تآليفه العديدة ، تلك التى قام ابو حامد الغزالى بكتابتها وتصنيفها ، ولا يحوم الشك أو الظن حول صحتها وحقيقتها ، وسأحاول ان اضع ذلك التراث قدر استطاعتى بنظام جديد ، ذلك بترتيبها حسب مواضيعها ، وكذلك مراعاة التسلسل الزمنى فى تأليفها ، وسأذكر التآليف الخطية لاهميتها ونفاستها ومن ثم نلحقهـا بالتآليف التى طبعت ومكان الطبع وزمنه وسأحاول ايضا ذكر مرات الطبع•

المخطوطـات :ـ

التآليف الدينية

١ ـ فضائل القرآن : هذا المخطوط فى ٩٣ ورقة بخطى نسخى جميل ومشكول • موجود فى دار الكتب المصرية برقم ٤٩ مجاميع م

٢ ـ القانون الكلى فى التأويل ، هذا المخطوط موجود فى دار الكتب المصرية برقم ١٨٠ مجاميع وكذلك فى مكتبة ولىالدين برقم ١٠٧٥

٣ ـ زاد الآخرة : بالفارسية [زاد آخرت] نسخة موجودة فى ليدن برقم ٢١٨٤ ، وفى كابل مكتبة رياسة المطبوعات الفهرس رقم ١٣٧ من ورقة ٢٨٢ب ـ ٢٨٩ب •

٤ ـ الاستدراج ، نسخة موجودة فى الآصفية ١ : ٣٦٦ تحت رقم ٨ تصوف عربى ، عنوانها فى الفهرس رسالة استدراج •

فى الفقه واصوله :ـ

١ ـ البسيط في الفروع : نسخة موجودة فىالاسكوريال برقم ط[1] ١١٢٥، وفى مكتبة الفاتح باستنبول برقم ١٥٠٠ ومكتبة السليمانية ٦٢٩ ، وقليج على ٣٢٧ ، وفى دار الكتب المصرية برقم ٢٧ ، وفى الديوان الهندى برقم ١٧٦٦ • وفى دار الكتب المصرية ايضا برقم ٢٢٣ فقه شافعى •

٢ ـ غاية الغور فى دراية الدور : وورد ايضا غاية الغور فى مسائل الدور ، نسخة موجودة فى دار الكتب المصرية تحت رقم ٣٦٥٩ ، ٣٦٦٠ تصوف ، وفى المتحف البريطانى ، الملحق برقم ١٢٠٣ (١) • وفى مكتبة راغب باستنبول برقم ٥٦٩ ، وفى همبورغ برقم ٥٩ •

٣ ـ المنخول فى الاصول ، نسخة فى دار الكتب المصرية برقم ١٨٨ أصول الفقه ، نسخة أخرى برقم ٣٨٦ اصول الفقه ، نسخة فى بنكيبور برقم ٧٠٨ ، وفى مكتبة ولىالدين برقم ١٠١٨ ، وفى الازهر برقم (١٤٦٢) ٣٦٨٠٦ ، وفى المكتبة الرضوية بمشهد تحت رقم ٤ : ٢٧ (٩٠) •

٤ ـ الوسيط ، نسخة فى دار الكتب المصرية ط[2] ١ : ٥٤٦ ، وبرقم ٢٠٦ فقه شافعى ، وفى مكتبة الفاتح باستنبول برقم ٢٢١٢ ، والديوانالهندى برقم ١٧٦٦ وفى الظاهرية بدمشق برقم ١٢٤-١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٩

فقه شافعى ، وفى منشن تحت رقم ٣٥٩ الجزء الثانى وفى امبروزيانا برقم R S O 111, 277

٥ ـ كتاب حقيقة القولين : نسخة فى مكتبة برلين برقم ٤٨٥٩ ومكتبة ينى جامع برقم ٨٦٥ •

٦ ـ فتوى للامام الغزالى : نسخة فى الظاهرية بدمشق برقم ٣٧٤ فقه شافعى •

٧ ـ كتاب شفاء الغليل فى القياس والتعليل :ـ وهو فى اصول الفقه ، نسخة موجودة فى دار الكتب المصرية برقم ١٥٤ اصول الفقه ، تاريخها سنة ٥٧٣هـ بقلم صالح بن علي ، ونسخة فى الازهر برقم (١٠٧) ٤١٨٣ اصول الفقه وفى الامبروزيانا برقم A 78 (RSO 777, 99)

٨ ـ خلاصة المختصر ونقاوة المعتصر : نسخة موجودة فى مكتبة السليمانية برقم ٤٤٢ ، وصورها معهد المخطوطات بالجامعة العربية•

فى التصوف :ـ

٦ ـ جامع الحقائق بتجريد العلائق :ـ نسخة فى مكتبة ابسالا •

٢ ـ رسالة فى المعرفة ، نسخة فى دار الكتب المصرية تحت رقم ٨٨٠ تصوف وفى برلين برقم ٣٢٠٨ •

فى الفلسفة :ـ

١ ـ المعارف العقلية ولباب الحكمة الالهية :ـ نسخة فى اكسفورد بمكتبة بودلى برقم ٢٦٣ ، وفى باريس ، المكتبة الاهلية برقم ١٣٣١ وفى ميلانو الامبروزيانا RSO 111 578 برقم (A. 64, Vi
وفى مكتبة الجزائر برقم ٩٣٩ • وفى الاسكوريال برقم ١١٣٠ ، وفى مشهد ١ : ٧٨ [٢٤٨] ، وفى الديوان الهندى برقم ١٨٩١ •

تراث الغزالي في تآليفه المطبوعة

في التآليف الدينية والعقائد :ـ

١ ـ الاقتصاد في الاعتقاد : طبع مصطفى القباني ، القاهرة ١٣٢٠هـ ١٣٢٧هـ وعلى هامش « الانسان الكامل » للجيلاني ، القاهرة ١٣٢٨ هـ • وكذلك طبع مع « المنقذ » و « المضنون » وتربية الاولاد ، بومباي بغير تاريخ ، المطبعة المحمودية بغير تاريخ • ترجم الكتاب الى الاسبانية ، في مدريد سنة ١٩٢٦ •

٢ ـ ميزان العمل : طبع في القاهرة سنة ١٣٢٧ ـ سنة ١٣٢٨ مطبعة كردستان العلمية ، سنة ١٣٤٢ المطبعة العربية بالقاهرة •

ترجم الكتاب الى العبرية في ليبسك وباريس ١٨٣٩ • ويلاحظ في الترجمة ان المترجم تلاعب في النصوص خاصة الآيات القرآنية والاحاديث النبوية ، فقد استبدل بها آيات من الكتاب المقدس وعبارات من التلمود ، ونراه يحذف « قوله تعالى » و « قال صلعم » ويضع بدلا منها قال احد الحكماء أو قال بعض الحكماء • واحيانا يقول : « قال احد الذين ادعوا النبوة » ، نرجو الملاحظة والحذر من هذا التلاعب والمغالطات ، وترجمه عن الطبعة المصرية الى الفرنسية ، الدكتور حكمت هاشم •

٣ ـ كتاب المستظهري في الرد على الباطنية : نشر الاستاذ اغناطيوس جولد تسيهر القسم الاكبر منه ، ووضع له مقدمة في الالمانية ، طبع ليدن سنة ١٩١٦ •

٤ ـ الرسالة القدسية في قواعد العقائد :ـ طبع في الاسكندرية (بدون تاريخ) •

٥ ـ احياء علوم الدين : طبع في القاهرة ، بولاق ١٢٦٩هـ ، ١٢٧٩ ،

١٢٨٢ ، ١٢٨٩هـ ، القاهرة مطابع مختلفة ١٣٠٣ ، ١٣٠٦ ، ١٣١٢ ، ١٣١٦ ، ١٣٢١ ، ١٣٢٦ ، ١٣٢٧ ، ١٣٣٤ ، ١٣٤٦ ، ١٣٤٨ ، ١٣٥٢ ، ١٣٥٧ • طبع فى استنبول سنة ١٣٢١ وفى طهران ١٢٩٣
ترجم الكتاب الى عدة لغات ، الفارسية والتركية والالمانية والاردية •

٦ ـ المقصد الاسنى فى شرح اسماء الله الحسنى ، طبع فى القاهرة ، ١٣٢٤ من غير تاريخ •

٧ ـ بداية الهداية : طبع بولاق ١٢٨٧ ، ١٢٩١ ، القاهرة ١٢٧٧ ، سنة ١٣٠٣ ، ومع تعليقات لمحمد النواوى الجاوى ، بالقاهرة ١٣٠٨ هـ ، بولاق ١٣٠٩ ، بمباى سنة ١٣٢٦ ، القاهرة ١٣٥٣هـ •

٨ ـ جواهر القرآن : طبع فى مكة ١٣٠٢ ، بمباى سنة ١٣١١ هـ ، القاهرة ١٣٢٠ ، سنة ١٣٢٩ ، سنة ١٣٥٢ •

٩ ـ كتاب الاربعين فى اصول الدين :ـ طبع فى القاهرة سنة ١٣٢٨ ، وطبع فى مطبعة الاستقامة والمكتبة التجارية بدون تاريخ •

١٠ـ القسطاس المستقيم ، طبع فى القاهرة سنة ١٣١٨ مطبعة الترقى ، القاهرة سنة ١٣٥٣ وفى بيروت سنة ١٩٥٩ •

ترجم الكتاب الى العبرية ترجمه موسى بن طبون • وترجم الكتاب الاب فكتور شلحت الى اللغة الفرنسية سنة ١٩٥٥ •

١١ـ فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة : طبع فى القاهرة ١٣١٩هـ ، ١٣٢٥هـ وطبع فى الهند ، طبع حجر ، سنة ١٢٨٣هـ •
ترجم الكتاب الى الالمانية سنة ١٩٣٨ ، ولخصه بالاسبانية آسين بلاثيوس ، فى مدريد سنة ١٩٢٩ •

١٢ـ كيمياء السعادة :ـ طبع النص الفارسى فى كلكتا بدون تاريخ ، وفى

بمباى سنة ١٨٨٣ ، ترجمه الى التركية ، وترجمه عن التركية الى اللغة الانكليزية

١٣ـ كتاب المضنون به على غير اهله :ـ طبع الكتاب ضمن مجموعة بالقاهرة سنة ١٣٠٣ ، سنة ١٣٠٩ ، بهامش « الانسان الكامل » للجيلانى : القاهرة سنة ١٣٢٨ وسنة ١٣٦٨ هـ مطبعة صبيح .

١٤ـ عقيدة اهل السنة : طبع فى الاسكندرية « دون تاريخ » .

الفقــه واصوله :ــ

١ ـ الوجيز : طبع فى القاهرة سنة ١٣١٧هـ فى جزئين .

٢ ـ المستصفى من علم الاصول : طبع فى مطبعة بولاق سنة ١٣٢٢هـ فى جزئين وعلى هامشه فواتح الرحموت للانصارى ، وطبع فى المطبعة التجارية فى جزئين سنة ١٣٤٦هـ/١٩٣٧م .

التصـــوف :ــ

١ ـ احياء علوم الدين : وقد ذكرناه فيما سبق فى قسم التآليف الدينية والعقائد .

٢ ـ بداية الهداية : طبع فى بولاق سنة ١٢٨٧ ، وفى سنة ١٢٩١ ، وفى القاهرة سنة ١٢٧٧ ، وطبع فى بولاق سنة ١٣٠٩ ، وفى القاهرة ايضا سنة ١٣٠٦ ، ١٣٢٦ وطبع فى بمباى سنة ١٣٢٦ واخيرا فى القاهرة سنة ١٣٥٤هـ/١٩٣٤م .

٣ ـ الاربعين فى اصول الدين : طبع فى القاهرة سنة ١٣٢٨هـ/١٩١٠م ، وطبع فى (المكتبة التجارية ، مطبعة الاستقامة) بدون تاريخ .

٤ ـ أيها الولد : طبع فى القاهرة ١٣٢٨ ، سنة ١٣٤٣ (ضمن الجواهر الغوالى من رسائل حجة الاسلام الغزالى) وطبع سنة ١٣٥٣ هـ/

١٩٣٤م ضمن الجواهر ايضا ، طبع فى استانبول سنة ١٣٠٥ ، وفى قازان ١٩٠٥ مع ترجمة تركية لمحمد رشيد .

وترجمه الى الالمانيـــة هامرّ پُرجشتل ، فينـــا ســنة ١٨٣٨ ، وترجم الكتاب الى الفرنسية ضمن منشورات اليونسكو سنة 1951 والثانية سنة ١٩٥٩ (ترجمها الاستاذ توفيق الصباغ) .

٥ ـ نصيحة الملوك : طبع فى القاهرة سنة ١٢٧٧ ، وعلى هامش سراج الملوك للطرطوشى بالقاهرة سنة ١٣٠٦ ، سنة ١٣١٩ ، وفى مطبعة المؤيد القاهرية سنة ١٣١٧ .

٦ ـ الرسالة اللدنية :ـ طبعها محىالدين صبرى فى القاهرة سنة١٣٢٨ ، وطبعت بدون تاريخ طبعات متعددة .

٧ ـ مشكاة الانوار : طبع فى القاهرة سنة ١٣٢٢هـ ، سنة ١٣٢٥ ، سنة ١٩٢٩م ، سنة ١٣٥٣ ضمن مجموعة (الجواهر الغوالى من رسائل الامام حجة الاسلام الغزالى) ، وفى حلب سنة ١٩٢٢م .

ترجم الكتاب الى اللغة العبرية ، اسحق بن يوسف الفاسى ، ومن هذه الترجمة مخطوطتان فى مكتبة بودلى باكسفورد برقمى ٣٢٥ [٢] و ٣٩٢ [٦] مخطوطات عبرية . وتوجد ترجمة عبرية اخرى لمترجم مجهول ، فى مخطوط بالفاتيكان برقم ٢٠٩ .

وترجمها الى الانكليزية ، فى لندن سنة ١٩٢٤ W.H.T. gaidner

٨ ـ الكشف والتبيين فى غرر الخلق اجمعين : طبع فى القاهرة ســنة ١٣٤٠ على هامش تنبيه المغرورين ، للشعرانى ، وطبع سنة ١٣١٥ ، وطبع وحده فى القاهرة سنة ١٩٦٠ (مكتبة مصطفى الحلبى) .

٩ ـ الاملاء على مشكل الاحياء : طبع فى فاس ١٣٠٢هـ ، وعلى هامش

« اتحاف السادة » للمرتضى وعلى هامش عدة طبعات من «الاحياء» .

١٠- الدرة الفاخرة فى كشف علوم الآخرة : طبع فى القاهرة ، سنة ١٢٨٠ ، ١٣٠٣ ، ١٣٠٨ ، ١٣٢٣ ، ١٩٢٥م ، سنة ١٣٤٦ هـ وطبع فى جنيف سنة ١٨٧٣م وفى ليبسك سنة ١٩٢٥م .

ترجم الكتاب الى الالمانية فى هانوفر سنة ١٩٢٤ .

١١- سر العالمين وكشف ما فى الدارين : طبع فى بومباى سنة ١٣١٤ هـ والقاهرة سنة ١٣٢٤ ، وفى سنة ١٣٢٧ ، وطبع فى طهران بدون تاريخ .

١٢- منهاج العابدين : طبع فى القاهرة فى سنة ١٢٨٨ ، ١٢٩١ ، ١٣٠٥ [على هامش «البداية»] ، ١٣٠٦ ، ١٣١٣ ، ١٣١٦ ، ١٣٢٢ ، ١٣٢٧ ، ١٣٣٧ ، وفى سنة ١٣٥١ « وبهامشه البداية » .

ترجم الكتاب الى الفارسية شيخ يوسف بدهه ساكن ايرج المتوفى سنة ٨٣٤هـ ومنها مخطوطة فى بنكيبور برقم ١٣٧٩ ، فى ليدنج[٤] ص٣١٥ ، فهرس الجمعية الجغرافية فى البنغال برقم ١١٦٥ . وترجمة تركية قام بها منهان المتوفى سنة ٩٢٥هـ منها مخطوطة فى جوتا برقم ٧٧ تركى ، وفى ايا صوفيا برقم ١٧٢٢ ، ومكتبة الفاتح برقم ٢٨٧١ وفى فينا برقم ١٧٩٢ .

في الفلسفة والمنطق وعلم الكلام :-

١ - مقاصد الفلاسفة : طبع فى القاهرة سنة ١٣٣١ وطبع فى ليدن سنة ١٨٨٨م ترجم الى اللاتينية سنة ١٥٠٦ ، وترجم الى الاسبانية وتوجد فقرات من المقاصد مترجمة بالمكتبة الوطنية فى مدريد فى المخطوط رقم ١٠٠١١ ، وترجم الكتاب الى العبرية ثلاث مرات، الاولى ترجمها

اسحق بن البَلَج حوالى القرن الثالث عشر الميلادى ولكنها لم تكن ترجمة دقيقة للاصل ، بل ترجمة لمضمونه • وقام بالترجمة الثانية يهودا ناتن ، وقد انتشرت هذه الترجمة انتشارا سريعا ، وترجمة ثالثة مجهولة المترجم والتاريخ • توجد نسخة من هذه الترجمة فى مكتبة بودلى باكسفورد برقم ٣٩٦ [٢ ، ٣] : ٢ ، ٣ • وفى همبرج مكتبة ميخائيل برقم ٣٣٢ ، وفى مكتبة ميونيخ برقم ٦٤ •

٢ ـ تهافت الفلاسفة : طبع فى القاهرة سنة ١٣٠٢ ، ١٣١٩ ، ١٣٢٠، ١٣٢١ ، وفى بمباى طبع مجر سنة ١٣٠٤ •

ترجم الى اللاتينية سنة ١٥٢٧ ، وترجمه الى العبرية وهذه الترجمة نادرة ، فى باريس برقم ٩١٣ ، ٩١٤/وفى ليدن ٦ : ٣٥

وترجم الى الفرنسية سنة ١٨٩٩ ترجمها كار دى فو فى مجلة « موزيون » التى تصدر فى لوفان •

٣ ـ معيار العلم فى فن المنطق : طبع فى القاهرة سنة ١٣٢٩هـ ١٩٢٧م ترجم الكتاب الى الاسبانية ١٩٢٩ الاستاذ آسين بلاثيوس •

٤ ـ محك النظر فى المنطق : طبع بالقاهرة بدون تاريخ «المطبعة الادبية» بمصر •

ترجم الكتاب الى الاسبانية فى كتاب ميجيل آسين بلاثيوس وطبع فى مدريد سنة ١٩٢٩م •

٥ ـ مشكاة الانوار : طبع فى القاهرة ١٣٢٢ ، ١٣٢٥ ، ١٩٢٩م ، سنة ١٣٥٣هـ (ضمن مجموعة « الجواهر الغوالى من رسائل الامام حجة الاسلام الغزالى » نشرها صبرى الكرى) ، طبع فى حلب ١٩٢٢ •

ترجم الكتاب الى العبرية ، اسحق بن يوسف الفاسى ، توجد منهذه الترجمة نسختان فى مكتبة بودلى باكسفورد برقمى ٣٢٥ [٢] و٣٩٢

[٦] مخطوطات عبرية • وتوجد ترجمة عبرية للكتاب لمترجم مجهول فى الفاتيكان برقم ٢٠٩ •

٦ ـ المنقذ من الضلال : طبع فى استانبول سنة ١٢٨٦هـ ، ١٢٨٧ ، ١٢٨٩هـ ، ١٢٩٣هـ ، ١٣٠٣هـ ، القاهرة ١٣٠٣هـ ، سنة ١٣٠٩ (مع الجام العوام) و (المضنون الصغير) ، وفى سنة ١٣١٦ ، وسنة ١٣٢٨ على هامش الانسان الكامل للجيلانى ، وطبع فى بومباى سنة ١٨٩١ ، وفى دمشق ١٩٣٤ •

ترجم الكتاب الى الفرنسية ثلاث مرات والى الانكليزية مرتين والى التركية والى الهندوستانية والى الهولندية • (قامت هيئة اليونسكو بترجمته الى الفرنسية سنة ١٩٥٩ ، واعد الترجمة الاستاذ فريد جبر •

٧ ـ الجام العوام عن علم الكلام : طبع فى استانبول سنة ١٢٧٨هـ ، وفى مدراس ١٣٠٦ ، والقاهرة ١٣٠٣ هـ وسنة ١٣٠٩هـ ، وسنة١٣٢٨هـ، ١٣٥٠هـ/١٩٣٢م ، ١٣٥١هـ • ترجم الكتاب الى الاسبانية آسين بلاثيوس • سنة ١٩٢٩م •

اشـــــهر الدراســـات
عــن
الغـــزالى ومؤلفـــاته

يعتبر ، الغزالى من اشهر الشخصيات الاسلامية خاصة والعالمية عامة ، في الميدان الثقافى ، وكان موضع عناية الباحثين قديما وحديثا ، وعكف العلماء المسلمون والاجانب طويلا ، على استقصاء المعلومات والحقائق عن كنه هذه الشخصية الاسلامية الفذة • ولا غرو فالغزالى ، يمثل الطبقة الاولى من بناة نهضتنا العلمية ، وحظيت كتبه ومؤلفاته عناية فائقة من قبل الباحثين والعلماء ، فقدموا عنها دراسة قيمة شيقة ، وسنحاول في هذا الفصل ابراز أهم هذه الدراسات المختلفة ، لانها كما اعتقد تمثل جانبا مهما من جوانب العبقرية الغزالية ، كما تبين مدى اهتمام رواد العلم بهذه الشخصية العالمية ونتاجه الفكرى •

لقد كانت مؤلفات الغزالى موضع اهتمام العرب والمسلمين وعناية المستشرقين الاجانب ، وسنبرز دراسات العلماء حول بعض تلك المؤلفات المهمة •

١ ـ رسالة أيها الولد ، هذه الرسالة كانت موضع عناية العرب والمسلمين ، وقد انبرى الى شرحها نخبة من العلماء منهم :

أ ـ الحسن بن عبدالله ، سماه « سراج الظلمات » الفه سنة ٧٦٥هـ ، منه مخطوط في فينا برقم ١٨٤٢ ، وفي ميونيخ برقم ١٧٤ ، وفي مكتبة قليج على باشا باستنبول برقم ٨٨٩/٩٠ •

ب ـ عبدالرحمن بن احمد الصبرى ، سماه « أيها الاخ » الفه سنة ١١١٧هـ منه مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ١٧٥ تصوف «ضمن مجموعة»

ج ـ محمد بن يوسف الحلبى الساقرى ، سماه « منحة الصمد بشرح أيها الولد » ، منه مخطوط في مكتبة جارالله باستنبول برقم ٧٨٤ وآخر في

مكتبة جامعة برنستون ، ضمن مجموعة جارت برقم ٧٨٤ .

د ـ شرح الرسالة شخص مجهول ، كتبه سنة ١٢٥٢هـ ، مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ١٥ تصوف خليل اغا .

هـ ـ شرح الرسالة عبدالوهاب الآمدى ، وطبع الشرح فى استانبول سنة ١٢٨١هـ .

كما انبرى الى اختصارها « محمد بن عمر بن قاسم بن اسماعيل المقرى الشافعى » المعروف بالبقرى من علماء القرن الثانى عشر الهجرى ، تحت عنوان « نصائح البقرى » ، مخطوط فى مكتبة الجامع الازهر الشريف برقم [٧٢] ٤٤٦٤ وقدم عنها دراسة فى الانكليزية F. H. FOSTER بعنوان :ـ

Ghazali on the inner Secret and outword expression of religion in his child

ونشرت فى Muslim World 23 "1933" pp. 378 — 396

كما قدم عنها دراسة فى الفرنسية A. Renon

بعنوان :ـ "L'éducation des enfonts dés Le Premier âge, Par L'Imâm al Ghazalî, Texte et traduction".

ونشرت فى IBla 8 "1945" pp. 57 — 74.

٢ ـ مقاصد الفلاسفة :ـ لقد بينت فى فصل سابق ان هذه الرسالة ترجمت الى عدة لغات ، وقد شرحت هذه من قبل اليهودى ، موسى النربونى ، ومن هذا الشرح توجد مخطوطات فى مكتبة باريس تحت رقم ٩٠١ ، ٩٠٤ ، ٩٢٦ ، ٩٥٦ ، ٩٩٤ . وفى برلين برقم ٦٩ وفى اكسفورد « مكتبة بودلى » برقم ٣٦٩ : ١ ، ٤٠٤ : ٢٠٣ ، ٤٠٥ : ١ . وفى ميونيخ برقم ٥٧ ، ١١٠ ، ١٢١ . وفى الفاتيكان برقم ٢٦٠ ، ٣٤٧ .

كذلك قام بشرحها اليهودى اسحق بن شمطوب ، ومن شرحه

مخطوط فى باريس برقم ٩٠٦ وقد تم هذا الشرح سنة ١٤٥٩م .

ومن أشهر الدراسات التى قدمت حول هذه الرسالة ما قدمه :

H. Auerboch : Albalag und Seine Vebersetzung des Makasid al-Gazzalis, I. Teil. Diss., Heidelberg. 1906.

وكتب الاستاذ M. Bouyges:

Notes Sur les philosophes Arabes connus des latins an moyen - âge. I. Le Maqasid d'Algazel. Mel. Université St-Joseph 7, 1914 — 1921, 397 — 399. IV. C'est du Magâsid que L'on a extrait las "Al Gazelis errores praeeipassoe". 404 — 406.

وقدم الاستاذ : R. Gosche

Ueber Ghazzâlîs Leben und werke, pp. 272 — 287. Berlin 1858, (Aus den Abhandlungen der Kônigl, Akademie der wissenschaften zu Berlin 1858, S. 239 — 311)

وكتب الاستاذ Manuel Alonso

"Influencia de Algazel en el mundo latino", in Al-Andalus, Vol. XXIII, Fasc. 2, pp. 371 — 380. Madrid, 1958.

٣ ـ تهافت الفلاسفة ، ويعتبر هذا الكتاب من اشهر كتب الغزالى ، وفيه هاجم الفلاسفة وأوضح مواطن الضعف فى آراء وافكار الفلاسفة ، وقد ترجم هذا الكتاب الى لغات عدة ، وكتب البعض يرد على الغزالى ، ومن أشهر من رد من الكتاب المسلمين :ـ

أ ـ ابن رشد ، الذى صنف كتابه المشهور « تهافت التهافت » الذى نشره بويج فى بيروت سنة ١٩٣٠ .

ب ـ خواجه زاده ، مصطفى بن يوسف البرمونى المتوفى سنة ٨٩٣ هـ/ ١٤٨٨م وهذا الكاتب كتب كتابا سماه « تهافت الفلاسفة » والكتاب هى محاولة اجراء محاكمة بين تهافت الفلاسفة وتهافت التهافت ،

وكتاب خواجه زاده هذا ، منه مخطوط فى دار الكتب المصرية ط١ حـ٦ ص٩٠ وآخر فى باريس برقم ٢٣٩٨ وفى مكتبة جارالله فى استانبول برقم ٧٩٩ . وطبع الكتاب فى القاهرة سنة ١٣٠٣ مع كتاب تهافت الفلاسفة للغزالى .

جـ ـ وقدم علاءالدين على الطوسى كتابه المعروف بـ « الذخيرة » وهو ايضا فى المحاكمة بين الغزالى وابن رشد ، ويوجد من كتاب « الذخيرة » مخطوط فى بريل ط١ برقم ٤٩٧ وط٢ برقم ٩٦٤ ، وقد طبع فى حيدر آباد سنة ١٣٣٠هـ .

وقدمت دراسات فى موضوع هذا الكتاب من اشهر تلك الدراسات :ـ
أ ـ البحث الذى قدمه الاستاذ آسين بلاسيوس :

Le Sens du Mot "Tahafot" (Prêcpitation irrêflectue dans les oeuvres d'El Ghazali et d'Averroès, Revue Africaine L (1905), 195/203.

ب ـ وقدم الاستاذ D. B. Macdonald
بحثا بعنوان : "Meanings of the philosohers"
By al-Ghazzâlî, in Isis 25 (1936), pp. 9 — 15; 27 (1937), p. 9 — 10.

جـ ـ وقدم الاستاذ نايش بحثا نشر فى Muslim World 16 (1926) p. 6
وبعنوان : Al Ghazali on Penitence".

٤ ـ كتاب المعارف العقلية ولباب الحكمة الالهية :ـ من أشهر الدراسات التى قدمت عن هذا الكتاب ، تلك التى قدمها داريو كابانيلاس "Dario Cabanelas" فى مجلة الاندلس جـ٢١ التى تصدر فى مدريد لسنة ١٩٥٦ بعنوان رسالة غير منشورة للغزالى : كتاب المعارف العقلية ، وقد كتب الاستاذ بحثه معتمدا على أربعة مخطوطات هى

الاسكوريال واكسفور وميلانو وباريس ، وذكر انه هناك مخطوطا آخر لم تساعده الظروف لمشاهدته وقد ترجم الباب الثالث من الكتاب الى الاسبانية •

٥ ـ احياء علوم الدين :ـ يعتبر هذا الكتاب من أهم كتب الغزالى فى الاخلاق والتصوف وقد انبرى لشرحه وتصدى لدراسته وتلخيصه الكثير من الباحثين والعلماء •

ومن أشهر من قام بتلخيص هذا الكتاب :ـ

أ ـ احمد بن محمد بن محمد الغزالى ، أخو المؤلف ، بكتاب أسماه « لباب احياء علوم الدين » ، طبع على هامش نزهة الناظرين لعبدالملك ابن المنير تقىالدين البابى الحلبى ، القاهرة ١٣٠٨ ، ١٣٢٨هـ •

ب ـ ابن الجوزى ، ابو الفرج عبدالرحمن ، وتلخيصه اسماه « منهاج القاصدين » وطبع هذا التلخيص فى دمشق سنة ١٣٤٧هـ •

ج ـ جمالالدين محمد بن محمد سعيد بن صالح القاسمى الدمشقى ، قدم تلخيصا للاحياء اسماه « المرشد الامين الى موعظة المؤمنين من احياء علوم الدين » وقد طبع فى القاهرة سنة ١٣٣١ ، ١٣٤٢ ، ١٣٤٨هـ ، ١٩٢٩م •

د ـ محمود على قراعة ، لخص الكتاب بتلخيص اسماه « صفوة الاحياء » طبع فى القاهرة سنة ١٩٣٥ •

هـ ـ محمد بن عثمان البلخى المتوفى سنة ٨٠٠هـ ١٣٩٧م ووسم تلخيصه « عين العلم وزين الحلم » فى التوحيد والآداب الدينية ، طبع فى استانبول سنة ١٢٩٢هـ •

و ـ محمد بن عبدالله الخوارزمى الشافعى المتوفى سنة ٦٧٩ هـ/١٢٨٠ م

قدم تلخيصا لكتاب الأحياء ،موجودة نسخته الخطية في المتحف البريطاني برقم ٧٤٠ وفي دار الكتب المصرية ط١ حـ٧ ٢٩٧ •

ز ــ محمد بن مرتضى محسن الكاشي المتوفى سنة ١١٠٦هـ ، له تلخيص للاحياء اسماه « المحجة البيضاء في احياء الاحياء » توجد منه مخطوطات في مكتبة برلين برقم Oct 3026 وكذلك في خزانة حكمة آل أقا في طهران •

ان أشهر من قام بشرح كتاب الاحياء ، محمد بن محمد بن الحسين المرتضى ، المتوفى سنة ١٢٠٥هـ/١٧٩١م ، ومن شرحه مخطوطه في مونيخ برقم ١٥٠ وفي مكتبة فاس القرويين ١٥٤٥/٦٣ وقد طبع هذا الشرح في مدينة فاس ١٣٠١هـ في ثلاثة عشر جزءا وطبع في القاهرة سنة ١٣١١ هـ في عشرة أجزاء •

قدمت دراسات وافية وعديدة لهذا الكتاب القيم ، من أشهر تلك الدراسات والبحوث :ــ

أ ــ البحث الذي قدمه الاستاذ لويس ماسنيون وكان بعنوان :ــ

Les Christ dans les êvangiles Selon al-Ghazzali, Revue des Etudes Islamiques 1933.

ب ــ وقدم D. B. Macdonald بحثا بعنوان :

"Emotionl Religion in Islam as effected by music and Singing" in IRAS 1902. 1. ff.

جـ ــ وقدم الاستاذ Asin Palacios بحثا عن كتاب الاحياء ، بعنوان : La espiritualidad de Algazely

Su sentido cristiano. 4voll. Madrid - granada, 1934 — 1941.

د ــ وكتب الاستاذ E. E. Calverley بحثا عن كتاب الاحياء تحت عنوان : Vitalizing of the religious

Siences. (condensed version of the fourth look of the first quarter of Ghazzali's Ihya).

ونشر هذا البحث فى Muslim World, 14 (1924) pp. 10—22

هـ ــ وكتب الاستاذ G. J. Pennings
بحثا بعنوان "God's decrees and man's responsibility. An attempt by al-Ghazeli to reconcile the two," - in Moslim World 31 (1941) pp. 23 — 28.

و ــ وكتب روبسن I. Robson
بحثا بعنوان : "Al - Ghazali and the Sunna" in Muslim World 45 (1955) pp. 324 — 333.

ز ــ وقدم الاستاذ زويمر S. M. Zwemer
بحثا بعنوان : Jesus christ in the IHYA of Al - Ghazali," in Moslim World 7 (1917) pp. 144 — 158.
(وكذلك) A Moslem Seeker after God. New York 1920.

ح ــ وكتب الاستاذ S. M. Rahman
بحثا بعنوان « الغزالى » "Al - Ghazzali"
in Islamic Culture. 1 (1927), pp. 406 — 411

وكتب الاستاذ M. Smith:
بحثا بعنوان : Al-Ghazâlî on the practice of the presence of God", in Moslim World, 23 (1933) pp. 16 — 23

ط ــ وقد قام الاستاذ E. F Calverley بترجمة الاحياء الى الانكليزية مع الشرح وكتب له مقــدمة للتعريف بالــكتاب واهميته بعنوان :
Ihya, the look of worship,

وطبع الكتاب فى مدراس سنة ١٩٢٥ ٠

ى ــ وقام السيد نواب علي بترجمــة بعض الحكم الدينية التى أوردهــا

الغزالى فى كتابه احياء علوم الدين ، الى اللغة الانكليزية ، ووضع مقدمة لهذه الترجمة A. G. Widgery وطبع فى Baroda سنة ١٩٢٠ .

س : وقدم الاستاذ كارادفوا Carra de Vaux بحثا عنوانه :ـ "Gazali, Le traite de la Renovation des science religieuses Ihiâ "Ulum eddin." dons le compte rendu du congrés scientifiques, Paris 1891, p. 24 et sq.

٦ ـ نصيحة الملوك :ـ قدمت فى هـــذا الموضوع عـــدة دراســات من اهمها :

البحث الذى قدمه : Lambton, A. K. S.
بعنوان : "The theory of Kingship in the Nasihat: ul-Muluk of gayali".
Islamic Quarterly
1 (1954) p. 47 sqq.

وقدم الاستاذ H. R. Sherwani
بعنوان : El Ghazali on the theory and Practice of Politics"
Islamic Culture
(1935), pp. 450 — 474.

٧ ـ المنقذ من الضلال :ـ من مؤلفات الغزالى المعروفة والمنتشرة ، وقد طبعت عدة طبعات كما بينا سابقا . وكتب عنه مقالات وبحوث مهمة فقد كتب :ـ

أ ـ الاستاذان جميل صليبا وكامل عياد ، مقدمة رائعة عند طبع الكتاب فى فى دمشق سنة ١٩٣٤ ، وجاءت تلك المقدمة دراسة طيبة لهذا الكتاب والتعريف بالامام الغزالى .

ب ـ وكتب الاستاذ فريد جبر مقدمة باللغة الفرنسية للترجمة التى قدمها للاونسكو فى مجموعة الروائع الانسانية وقد جاءت المقدمة معلومات قيمة عن الغزالى وتـــاجه الفكرى • طبعت الترجمـة فى بيروت سنة ١٩٥٩م •

وقدم الاستاذ H. Frick.

Ghazalis Selbstbiographie,

Ein Vergleich mit Augustins Konfessionen. Lepzig, 1910.

والبحث يدور حول الاعترافات بين الغزالى والقديس اوغسطين

وقدم الاستاذ Asin Palacios

بحثا بعنوان : Les Precedentes Musulmanes del Pari de Pascal. Santander. 1920. Boletin de la Bililioteca Menedes y Relayo.

٨ ـ مشكاة الانوار :ـ

أ ـ كتب الاســتاذ فنســك Wensinck بحثــا بعنــوان : Semietische Sludien uit de malatenschap van J. A. wensinck. Leiden 1944. pp. 192 — 212.

وكتب الاستاذ W. H. T. gairdner

بحثــا بمجلة الاســلام حاول فيه معالجة مشــكلة الغزالى ومشكاة الانوار وعنوانه :ـ

"Al-Ghazâlî's Mishkât Al-Anuar and the Ghazali Problem", in Ger Islam, vol. 4, 1914.

٩ ـ منهاج العابدين :ـ قدمت عـدة تلخيصـات فى هـذا الموضوع من أهمها :ـ

أ ـ كتب عبدالوهاب الشعرانى تلخيصا بعنوان « مقاصد منهاج العابدين » ، منه مخطوط فى بنكيبور برقم ١٣ : ٨٤٨ •

ب ـ وكتب محمد عبدالحق بن شـاه محمد تلخيصـا بعنوان : « سراج السالكين على منهاج العابدين » ، طبع فى مصر سنة ١٣٣١ .

حـ ـ وكتب الزين دحلان تلخيصا بعنوان « تنبيه الغافلين » طبع فى مصر سنة ١٢٩٨هـ .

د ـ وقدم عبدالله الحدادى المتوفى سنة ١١٣٢هـ ١٨٢٠م تلخيصا بعنوان « المذاكرة مع الاخوان » . طبع فى القاهرة سنة ١٣١٩ .

وكتب كثير من الباحثين والدارسين عددا وفيرا من البحوث والمقالات فى شخصية الغزالى وبيئته ومعتقده ومن اشهر تلك المقالات والبحوث :

١ ـ الاخلاق عند الغزالى	للدكتور زكى مبارك وهى الرسالة التى نال بها درجة الدكتوراه لاول مرة من الجامعة المصرية
٢ ـ الغزالى	للاستاذ احمد فريد الرفاعى
٣ ـ الغزالى	للاستاذ طه عبدالباقى سرور « فى سلسلة اقرأ »
٤ ـ تفكير الغزالى الفلسفى	الاستاذ عبدالدايم ابو العطا
٥ ـ التصوف المقارن	الدكتور محمد غلاب ، وقد عقد فصلا عن الغزالى
٦ ـ الغزالى	للاستاذ يوحنا قمير وقد طبع فى المطبعة الكاثوليكية ببيروت
٧ ـ تاريخ الفلسفة فى الاسلام	الاستاذ دى بور ترجمه الاستاذ ابو ريده وقد عقد فصلا عن الغزالى وقد أبدع الاستاذ ابو ريدة فى تعليقاته

٨ ـ الغزالى ولمحات عن الحياة الفكرية الاسلامية	الدكتور بهى الدين زيان	
٩ ـ قضية العلم بين الغزالى وابن رشد	للدكتور احمد فؤاد الاهوانى ،	فى مجلة الكاتب المصرى عدد مايو سنة ١٩٤٦
١٠ ـ الغزالى	للاستاذ محمد بن شب ،	فى مجلة المجمع مجلد ٧ ص٢٢٤
١١ ـ رأى فى الغزالى	للاستاذ حسن صبيح	فى مجلة المقتطف ٩٨ : ٥١
١٢ ـ الغزالى : ترجمته وتعاليمه	للاستاذ محمد الخضرى ،	فى مجلة المقتطف ٣٤ : ٤٧٨ و٥٢٩
١٣ ـ هجرة الغزالى فى سبيل المعرفة واليقين	للاستاذ محمد خلف الله ،	مجلة الثقافة ٢ : ٣١٨
١٤ ـ الاخلاق عند الغزالى	للاستاذ خليل العيتانى ،	العروة ٨ عدد ٣ : ص٢١
١٥ ـ الكلام والمتكلمون : الامام الغزالى	الدكتور محمد غلاب ،	مجلة الازهر ١١ : ٣٩٨ ، ٤٧٦
١٦ ـ أثر الغزالى فى المدارس المتأخرة	الاستاذ زهير فتح الله ،	مجلة الاديب ٢ عدد ٨ ص٤٣
١٧ ـ تفكير الغزالى الفلسفى	للاستاذ ابراهيم مدكور ،	الثقافة ٢ : ١٦٤٨
١٨ ـ العشرة المقدمون فى تاريخ الفكر الفلسفى	الاستاذ انيس المقدسى ،	الامالى عدد/٥ ص٧

١٩ ـ حجة الاسلام ، الامام الغزالى   الاستاذ شكرى مهتدى ،المقتطف :
٧٣ ص١٩٨

٢٠ ـ حياة الغزالى   الاستاذ انطون موصلى ، المكشوف
عدد ١٨١-١٩٠

٢١ ـ الاخلاق عند الغزالى   الدكتور زكى مبارك ، الرسالة
٩ : ١٣٣٩

٢٢ ـ الغزالى   القس سليمان صائغ : النجم :
الموصل ١ : ٥٩

٢٣ ـ ابو حامد الغزالى   الاستاذ عبدالرحمن خليل البرير :
الكشاف ص٢٨٣

٢٤ ـ الغزالى وعلم النفس   للاستاذ حمدى الحسينى : مجلة
الرسالة ص٨٦٠ لسنة ١٩٥٠

٢٥ ـ الغزالى : مدرس المدرسة النظامية ببغداد   الدكتور حسين أمين مجلة كلية الآداب عدد/٤ لسنة ١٩٦١

٢٦ ـ مؤلفات الغزالى   الدكتور عبدالرحمن بدوى

٢٧ ـ سيرة الغزالى واقوال المتقدمين فيه   الاستاذ عبدالكريم العثمان

٢٨ ـ الغزالى مؤسس علم النفس الاسلامى   الدكتور احمد فؤاد الاهوانى ، مجلة العربى عدد ٥٦

اقام المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، مؤتمرا فى دمشق فى الفترة الواقعة بين ٢٧-٣١ من شهر آذار سنة ١٩٦١ ، للاحتفال بذكرى مرور العام المئوى التاسع لمولد الغزالى . وقد دعيت وفود عربية واسلامية وعدد من المستشرقين ، وقدمت فى هذا المؤتمر الكبير عدة بحوث قيمة هى :ـ

١ – اثر الامام الغزالى فى الاخلاق للسيد صلاح الدين السلجوقى رئيس وفد افغانستان
٢ – من فلسفة الدين عند الغزالى الدكتور محمد ثابت الفندى
٣ – الجوانية الاخلاقية عند الغزالى الدكتور عثمان امين
٤ – الامام الغزالى ومعرفة الغيب الدكتور عبدالحليم محمود
٥ – العقل والتقليد فى مذهب الغزالى الدكتور محمود قاسم
٦ – الغزالى الفيلسوف الدكتور ابراهيم بيومى مدكور
٧ – الغزالى ومصادره اليونانية الدكتور عبدالرحمن بدوى
٨ – القصيدة التائية للامام الغزالى الدكتور زكى نجيب محمود
٩ – العلية والاتفاق فى رأى الامام الغزالى الدكتور محمد الهاشمى
١٠ – رجوع الغزالى الى اليقين الدكتور عمر فروخ
١١ – الحاسة الدينية عند الغزالى الدكتور احمد فؤاد الاهوانى
١٢ – نظرية المعرفة عند الغزالى الدكتور عثمان شاهين
١٣ – مع الغزالى فى صميم تفكيره الأب فريد جبر
١٤ – الغزالى المربى والمعلم فضيلة الشيخ ابراهيم القطان
١٥ – الغزالى اعظم مجدد عرفه العالم اجمع الاستاذ على ابو بكر
١٦ – النسل وقضية تحديده عند الغزالى الدكتور عبدالكريم اليافى
١٧ – المنهج الوضعى عند الغزالى الدكتور حسن الساعاتى
١٨ – الغزالى فى دمشق الاستاذ خالد معاذ
١٩ – عصر الامام الغزالى الدكتور مصطفى جواد
٢٠ – مصدر المعرفة عند الغزالى الاستاذ محمد جواد مغنية

٢١ ـ موقف اهل السنة من ابى حامد الغزالى — الدكتور على سامى النشار
٢٢ ـ الغزالى الفقيه — الاستاذ الشيخ ابو زهرة
٢٣ ـ حجةالاسلام ابو حامد الغزالى — الاستاذ الشيخ محمد بهجتالبيطار
٢٤ ـ نظرية المعرفة عند الغزالى — الاستاذ تيسير شيخ الارض
٢٥ ـ الحسد عند الغزالى — للدكتور محمد مهدى علام
٢٦ ـ وظائف النفس عند الغزالى — الاستاذ عبدالكريم العثمان
٢٧ ـ تجربة الشك عند الغزالى — الآنسة هيام النويلاتى
٢٨ ـ موازنة بين آراء الامام الغزالى والقديس اغسطين — الاستاذ يوسف الشارونى
٢٩ ـ الغزالى والمغرب — الاستاذ الشيخ محمد المنتصر الكتانى

٣٠ ـ A Ghazzali's Conception of love with Special references to the love of God. — للدكتور/م٠عمرالدين

٣١ ـ Considerations on Al-Ghazzali's Promatical and Mystical approach to "Zakat" — للاميرة فاريشتاخ٠دىزاياس

٣٢ ـ Les Traductions en turc de certains livers d'Al-Ghazzali — للاستاذ ضيا الكن

وقدمت بحوث أرسلها اصحابها ولم تلق فى المهرجان هى:ـ

١ ـ اثر الغزالى فى توجيه الحياة العقلية والروحية فى الاسلام — الدكتور ابو العلا عفيفى
٢ ـ منهج الغزالى فى البحث عن الحق — للاستاذ عبدالحميد حسن
٣ ـ التربية عند الغزالى — للاستاذة فتحية سليمان

٤ ـ مفتاح شخصية الغزالى ، هـل شك حجة الاسلام للاستـاذ الشيخ محمـد الصـادق عرجون

٥ ـ الامام ابو حامد الغزالى : للاستاذ منير القاضى . بحث أعِد ليتلى فى المؤتمر ولكن لم يتيسر له ذلك ، ونشر فى مجلة المجمع العلمى لسنة ١٩٦٢

والحق يقال ان المؤتمر اصاب نجاحا بعيدا ، وكانت البحوث التى قدمت فيه دراسات طيبة اضافت آراء وافكارا جديدة عن عصـر الغزالى وسيرته ومنهجه ، كما اوضحت بشكل علمى مؤلفاته وبحوثه المنتشرة فى العالم ، وحبذا لو انتهزنا المناسبات الاخرى لاحياء ذكرى شخصيات علمية وادبيةعربيةواسلامية أخرى لنستجلي الحقائق وتتقصى الدقائق،ونرتبها ترتيبها الموضوعى ، وبذلك نقدم لتراثنا الحضارى عملا جليلا وخلدنا اثرا جميلا .

الملاحـق

رأيت من المفيد للقارىء العربى ان اهيء له بعضا من البحوث القيمة ، أو النصوص النادرة ذات العلاقة بموضوعنا فهى مع فائدتها واهميتها، فانها تعطينا صورا مختلفة لآراء شتى ، متفقة ومتضادة ، انها بلا شك ، نتاج الدراسات المتباينة ، فى عرضها خدمة للعلم وتحقيق رغبة الباحثين فى الاطلاع على بعض ما قُدّم قديما وحديثا .

والملاحق هما :

١ ـ نصوص من عقد الجمان	: العينى (بدرالدين)
٢ ـ نصوص من نفحات الانس	: عبدالرحمن الجامى
٣ ـ نصوص من الطبقات	: الشيخ محىالدين النووى
٤ ـ نصوص من القواصم والعواصم	: ابو بكر بن العربى
٥ ـ نصوص من طبقات الشافعية	: ابن قاضى شهبة
٦ ـ نصوص من العقد المذهب	: ابن الملقن
٧ ـ نصوص من مرآة الجنان	: اليافعى
٨ ـ نصوص من سير اعلام النبلاء	: الذهبى
٩ ـ الغزالى فيلسوف دينى	: الدكتور محمد ثابت الفندى
١٠ـ الغزالى الفيلسوف	: الدكتور ابراهيم بيومى مدكور

ملحق رقـــم (١)

ألغـــــزالى

ابو حامد محمد بن محمد احمد الغزالى ، الملقب « حجة الاسلام » ، « زين الدين » الطوسى ، الشافعى . لم يكن للطـائفة الشافعية فى آخر عصره مثله .

اشتغل فى مبدأ امره بطوس على احمد الراذكانى . ثم قدم نيسابور واختلف الى درس امام الحرمين ، وجدّ فى الاستقبال حتى تخرج فى مدة قريبة وصار من الاعيان المشار اليهم فى زمن استاذه ، وصنف فى ذلك الوقت ، ولم يزل ملازما له حتى مات فى التاريخ المذكور فى ترجمته . فخرج من نيسابور الى العسكر ، ولقى نظام الملك فأكرمه وعظّمه وبالغ من الاقبال عليه . وكان يحضر الوزير جماعة من الافاضل ، وجرى بينهم الجدال والبحث والمناظرة فى عدة مجالس ، وظهر عليهم واشتهر اسمه وسارت باسمه الركبان ، ثم فوّض اليه الوزير تدريس النظامية ببغداد ، فجاءها وباشر القاء الدروس بها ، وذلك فى جمادى الاولى من سنة اربع وثمانين واربعماية ، واعجب به اهل العراق ، وارتفعت عندهم منزلته . ثم ترك جميع ما كان عليه فى ذى القعدة سنة ثمان وثمانين واربعماية .

وسلك طريق التزهد والانقطاع ، وقصد الحج ، فلما رجع توجه الى الشام فأقام بدمشق مدة يذكر الدروس فى زاوية الجامع فى الجانب الغربى منه ، انتقل منها الى بيت المقدس ، واجتهد فى العبادة . ثم قصد مصر وأقام بالاسكندرية مدة ، ويقال انه قصد الركوب منها فى البحر الى

بلاد المغرب على عزم الأجتماع بالأمير يوسف بن تاشفين ، صاحب مراكش. فبينما هو كذلك اذا بلغ اليه نعى يوسف المذكور ، فصرف عزمه عن تلك الناحية . ثم عاد الى وطنه بطوس واشتغل بنفسه ، وصنف الكتب المفيدة فى عدة فنون ، منها ما هو اشهرها :

الوسيط والبسيط والوجيز والخلاصة فى الفقه ، ومنها : احياء علوم الدين وهو من انفس الكتب واجلّها . وله فى اصول الفقه المصفى[1] والمنخول والمنتحل فى علم الجدل . وله تهافت الفلاسفة ومحك[2] النظر ومعيار العلم وغير ذلك .

ثم الزم بالعود الى نيسابور بالمدرسة النظامية فأجاب الى ذلك ، بعد تكرار المعاودة ، ثم ترك ذلك وعاد الى بيته ووطنه . واتخذ خانقاه للصوفية[3] ، ومدرسة للمشتغلين بالعلم فى جواره ووزع اوقاته على وظائف الخير من ختم القرآن ومجالسة اهل القلوب ، والقعود للتدريس - الى ان انتقل الى ربّه الكريم .

ويروى له شعر ، فمن ذلك ما ينسبه اليه الحافظ ابو سعد السمعانى فى الذيل .

وحلت عقارب صدغه فى خده
قمرا يجل بها التشبيه
ولقد عهدناه يُحلّ بروجها
فمن العجائب كيف حلّت فيه

وذكر ابن الجوزى فى منتظمه وقال : صنف الكتب الحسان فى

---

(١) صحيحه (المستصفى)
(٢) كتبت فى الاصل بحرف اللام (محل)
(٣) اى رباطا للصوفية

الأصول والفروع التى انفرد بحسن وصفها وترتيبها وتحقيق الكلام فيها حتى انه صنف فى حياة استاذه الجوينى • فنظر الجوينى فى كتابه المسمى بالمنخول ، فقال له : دفنتنى وانا حى ، هلا صبرت حتى اموت ؟ واراد ان كتابك قد غطى على كتابى • ووقع له القبول من نظام الملك ، فرسم له التدريس بمدرسته ببغداد ، فدخل بغداد فى سنة اربع وثمانين ، ودرس بها وحضره الائمة الكبار كابن عُقيل وابى الخطاب ، وتعجبوا من كلامه واعتقدوه فائـدة ، ونقلوا كلامـه فى مصنفاتهم • ثم انه ترك التدريس والرياسة ولبس الخام الغليظ ، ولازم الصوم • وكان لا يأكل الا من اجرة النسخ ، وحجّ وعاد ثم رحل الى الشام واقام ببيت المقدس ودمشق مدة يطوف المشاهد ، واخذ فى تصنيف كتاب الاحياء ، فى القدس ، ثم أتمه بدمشق • الا انه وضعه على مذهب الصوفية ، وترك فيه قانون الفقه ، مثل انه ذكر فى محو الجاه ومجاهدة النفس ان رجلا أراد محو جاهه فدخل الحمام فلبس ثياب غيره ، ثم لبس ثيابه فوقها ، ثم خرج يمشى على مهل حتى لحقوه فأخذوها منه ، وسمى سارق الحمام ، وذكر مثل هذا على سبيل التعليم للمريدين قبيح ، لان الفقه يحكم بقبح هذا ، فانه متى كان للحمام حافظ ، وسرق سارق قطع ، ثم لا يحل لمسلم ان يتعرض بان يأثم الناس به فى حقه •

وذكر ان رجلا اشترى لحما ، فرأى نفسه تستحى من حمله الى بيته فعلقه فى عنقه ومشى ، وهذا فى غاية القبح ، ومثله كثير ليس هذا موضعه • وقد جمعت اغلاط الكتاب وسميته (إعلام الاحياء بأغلاط الاحياء) واشرت الى بعض ذلك فى كتابى المسمى بتلبيس ابليس ، مثلما ذكر فى كتاب النكاح ان عائشة قالت للنبى صلى الله عليه وسلم : أنت الذى تزعم انك رسول الله ، وهذا محال ، وانما كان سبب اعراضه فيما وضعه عن مقتضى الفقه انه صحب الصوفية فرأى حالتهم الغاية ، وقال انى اخذت

الطريقة من ابى على الفارمذى ، وامتثلت ما كان يشـير به من وظائف العبادات واستدامة الذكر ، الى أن جُزْتُ تلك العقبات وتكلفت تلك المشاق وما حصلت على ما كنت اطلبه • ثم انه نظر فى كتاب ابى طالب المكى وكلام المتصوفة القدماء ، فاجتذبه ذلك بمدة عما يوجبه الفقه ، وذكر فى كتاب الاحياء من الاحاديث الموضوعة وما لا يصح غير قليل ، وسبب ذلك قلة معرفته بالنقل ، فليته عرض تلك الاحاديث على من يعرف وانما نقل حاطبِ ليل •

وكان قد صنف للمستظهر كتابا فى الرد على البـاطنية وذكر فى آخره مواعظ الخلفاء فقال : روى ان سليمان بن عبدالملك بعث الى ابى حازم ابعث اليّ من افكارك ، فجاء بعبدالعزيز ، فلما بلغ وُلد له عمر بن عبدالعزيز وهذا من اقبح الاشياء ، لان عمر ، ابن عم سليمان وهو الذى ولاه ، فقد جعله ابن ابنه • فما هذا حديث من يعرف من النقل شيئا اصلاء وكان بعض الناس شغف بكتاب الاحياء، فأعلمته بعيوبه ثم كتبته له فاسقطت مايصلح اسقاطه وزدت ما يصلح ان يزاد[1] •

ويختتم العينى كلامه :ــ وحكى اخوه احمد قال : لما كان يوم الاثنين وقت الصبح توضأ اخى ابو حامد وصلى وقال : عليّ باكفانى ، فاخذهـا وقبلها وتركها على عينيه ، وقال : سمعا وطاعة للدخول على الملك • ثم مدّ رجليه واستقبل القبلة ومات قبل الاسفار •

ولبعضهم فيه شعر يذكر فضائله وبعض تصانيفه فى الفقه والمذهب وهو شاب :ــ

شـــيد المـــذهب حبر ❊ احســـن الله خـــلاصه
بســـــيط ووســــيط ❊ ووجيـز وخلاصـــه[1]

---

(١) العينى : عقد الجمان ورقة ٦٦٥ــ٦٦٦ مخطوط بدار الكتب المصرية

ملحق رقم (٢)

حجة الاسلام محمد بن محمد الغزالى الطوسى قدس الله روحه

كنيته ابو حامد ، ولقبه زين‌الدين ، وانتسابه فى التصوف الى الشيخ أبى على الفارمذى • قال حجة الاسلام : لقد سمعت الشيخ أبا على‌الفارمذى قدس الله روحه عن شيخه ابى القاسم الكركانى ـ قدس الله سره ـ انه قال: « ان الاسماء التسعة والتسعين تصير اوصافا للعبد السالك ، وهو بعد فى السلوك غير واصل » •

وكان فى بداية الحال فى طوس ونيسابور مشتغلا بتحصيل العلوم وتكميلها • فبعده اجتمع بنظام الملك وحصل له قبول تام • فمن كان فى صحبة نظام الملك من العلماء والفضلاء باحثوه وناظروه ، فغلب عليهم • ففوضوا اليه تدريس النظامية ببغداد • فذهب الى بغداد فى سنة اربع وثمانين واربعماية ، فبعد الحج عزم الى الشام ، واقام فيها مدة مديدة ، وذهب الى بيت القدس ، ثم مصر ، واقام بالاسكندرية مدة ، ثم رجع الى الشام واقام بها ما شاء الله • ثم رجع الى الوطن ، وكان مشغولا بحاله عن الخلائق •

وصنف كتبا مفيدة مثل :ـ إحياء علوم الدين ، وجواهر القرآن ، وتفسير ياقوت التأويل ، اربعون مجلدا ، ومشكاة الانوار ، وغيرهما من الكتب المشهورة •

ثم رجع الى نيسابور ، ودرس فى نظامية بغداد • فبعد مدة رجع

الى الوطن ، فبنى خانقاه للصوفية ، ولطلبة العلم مدرسة ، وقسم الاوقات على وظائف الخير من ختم القرآن وصحبة ارباب القلوب وتدريس العلوم ، حتى قبض فى رابع عشر جمادى الآخر سنة خمس وخمسماية »[1] .

(١) عبدالرحمن الجامى : نفحات الانس مخطوط برقم ح ٩٧٩٥ بدار الكتب المصرية الورقة ٢١٦ا-٢١٧ب .

ملحق رقم (٣)

قال الشيخ ابن الصلاح : كتاب المظنون المنسوب اليه معاذ الله ان يكون له ، وقد شاهدت على ظهر كتاب نسخة منه بخط الصدر المكين القاضي كمال الدين محمد بن عبدالله بن القاسم الشهرزوري ، انه موضوع على الغزالي ومخترع من كتاب « مقاصد الفلاسفة » الذى نقضه بكتاب تهافت الفلاسفة ، وانه نفذ فى طلب هذا الكتاب الى البلاد البعيدة ، فلم يقف له على خبر . قال : وهذه النسخة ظهرت فى هذا الزمان القريب ولا تليق بما صحّ عندنا من فضل الرجل ودينه .

قال الشيخ : وقد نقل كتاب آخر مختصر نسب اليه . ولما بحثنا عنه تحققنا انه وُضع عليه ، وفى آخر هذه النسخة بخط آخر ، هذا منقول من كتابه حكاية مقاصد الفلاسفة حرفا بحرف ، والغزالى إنما ذكره « المقاصد » فى حكاية عنهم غير معتقد له ، ونفى الصفات وبأنه لا يعلم الجزئيات سبحانه وتعالى ، والاشارة الى احالة حشر الاجساد باثبات التناسخ . ولم يكن هذا معتقده[١] .

(١) الشيخ محى الدين النواوى : الطبقات وهو اختصار طبقات الشيخ تقى الدين عثمان بن الصلاح . مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٢٠٢١ تاريخ ورقة ٣٢ أ

ملحق رقم (٤)

ذكر ابو بكر بن العربى :ـ

قاصمة : ولقد فاوضت فيها أبا حامد الغزالى حين لقائى له بمدينة السلام فى جمادى الآخرة سنة تسعين واربع مائة ، وقد كان راض نفسه بالطريقة الصوفية من سنة ست وثمانين الى ذلك الوقت نحوا من خمسة أعوام ، وتجرّد لها ، واصطحب مع العزلة ، ونبذ كل فرقة ، فتفرغ لى بسبب بناه فى كتاب ترتيب الرحلة ، فقرأت عليه جملة من كتبه ، وسمعت كتابه الذى سمّاه بالاحيـاء لعلوم الدين ، فسـألته سؤال المسترشد عن عقيدته ، المستكشف عن طريقته ، لأقف من منتهى تلك الرموز التى اومأ اليها كتبه ، على موقف تام المعرفة ، وما ثبت له فى النفوس من تكرمته ، فقال لى من لفظه وكتب لى بخطه : ان القلب اذا تطهر عن علاقة البدن المحسوس وتجرد للمعقول انكشفت له الحقائق ، وهذه أمور لا تُدْرَك الا بالتجربة لها عند اربابها بالكون معهم والصحبة لهم ، ويرشد اليه طريق من النظر ، وهو ان القلب جوهر صقيل ، مستعد لتجلى المعلومات فيه عند مقابلتها عريًا عن الحجب كالمرآة فى تراءى المحسوسات عند زوال الحجب من صد الابط او ستر من ثوب أو حائط ، لكنه بتراكم الآفات عليه يصدأ حتى لا يتجلى فيـه شىء ، او يتجلى معلوم دون معلوم ، بحسب مواراة الحجاب له من ازورار او كثافة او شغف ، فيتخيل فيها مخلية غير متحليّة، كأنه ينظر من وراء شف . ألا ترى الى النـائم اذا أفلت قلبه من يد

الحواس وانفك من اسرها كيف تتجلى له الحقائق ، تارة بعينها واخرى بمثالها . قال لى : وقد تصدأ النفوس ويصفو انقلب حتى يؤثر فى العوالم ، فان للنفوس قوة تأثيرية موجدة ، لكن كما قلنا ، مايتوارد عليها من شعوب البدن وعلائق الشهوات يحول بينها وبين تأثيرها حتى لا يبقى لها تأثير الا فى محلها وهو البدن خاصة » .

---

(١) ابو بكر ابن العربى : القواصم والعواصم مخطوط بدار الكتب المصرية صفحة ٧ب ــ ٨ أ

ملحق رقم (٥)

محمد بن محمد الامام حجة الاسلام زين الدين ابو حامد الطوسى الغزالى

ولد بطوس سنة خمسين واربعماية ، اخذ عن الامام[١] ، ولازمه ، حتى صار أنظر اهل زمانه وجلس للاقراء ، فى حياة امامه ، وصنّف .

وبعد وفاة الامام حضر مجلس نظام الملك ، فأقبل عليه فوجده رجلا فحلا عظيما ، فولاه نظامية بغداد فدرس بها مدة ، ثم تركها ، وحج ورجع الى دمشق واقام بها عشر سنين . وصنف كتبا يقال ان الاحياء منها ، ثم صار الى القدس والاسكندرية ثم عاد الى وطنه بطوس مقبلا على التصنيف والعبادة ونشر العلم . ودرّس بنظامية نيسابور مدة ثم تركها ، وبنى خانقاه[٢] للصوفية ومدرسة للمشتغلين . وأقبل على النظر فى الاحاديث خصوصا البخارى . توفى فى جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة .

ومن تصانيفه :

البسيط وهو كالمختصر للنهاية

والوسيط ملخص منه ، وزاد فيه امورا من الابانة للفورانى[٣] ،

---

(١) المقصود : امام الحرمين الجوينى .

(٢) خانقاه : الرباط (التكية

(٣) الفورانى : عبدالرحمن بن محمد بن احمد بن فوران ، ابو القاسم ، فقيه ، من علماء الاصول والفروع كان مقدم الشافعية بمرو ، وصنف فى الاصول والخلاف والجدل والملل والنحل . مولده ووفاته بمرو ، من كتبه « الابانة » فى مذهب الشافعية و « تتمة الابانة » مخطوط فى عشرة اجزاء . توفى سنة ٤٦١هـ .

ومنها اخذ هـذا الترتيب الحسـن الواقع فى كتبـه ، وتعليق القاضى الحسين[١] واستمداده منه كثير كما نبه عليه فى المطلب •

ومن تصانيفه : الوجيز ، والخلاصة ، وكتاب الفتاوى له يشتمل على مآية وتسعين مسئلة ، وهى غير مرتبة وله فتاوى اخرى غير مشهورة أقل من تلك •

وصنف فى الخلاف : المآخذ ـ جمع مأخذ ، ثم صنف كتابا آخر فى الخلاف سماه : تحصين المـأخذ • وصنف فى المسئلة السريجية تصنيفين ، اختار فى احدهما عدم وقوع الطلاق والآخر الوقوع • وكتاب الاحياء ، وهو الاعجوبة العظيمة الشأن ، وبداية الهداية ، فى التصوف ، والمستصفى فى اصول الفقه والمنحول والجام العوام والرد على الباطنية ومقاصد الفلاسفة وتهافت الفلاسـفة وجواهر القرآن وشـرح الاسـماء الحسنى ومشكاة الانوار والمنقذ من الضلال وغير ذلك[٢] •

(١) القاضى الحسين : الحسين بن محمد بن احمد المروذى ، ابو على ، من كبار فقهاء الشافعية فى خراسان ، من تصانيفه « التعليقة فى المذهب » ، توفى سنة ٤٦٢هـ فى مدينة مرو الروذ •

(٢) ابن قاضى شهبة : طبقات الشافعية ، مخطوط بدار الكتب المصرية ورقة ٥٣١ •

ملحق رقم (٦)

محمد بن محمد بن محمد بن احمد ، ابو حامد الغزالى الطوسى

زين‌الدين حجة الاسلام احد الائمة . ولد بطوس سنة خمسين واربعماية ، سنة مات الماوردى وابو الطيب الطبرى وكان والده يغزل الصوف ويبيعه فى دكانه بطوس . وكان اشتغاله اولا لطلب القوت لما نفد ما خلفه ابوه . قال الغزالى : فأبى ان يكون إلا الله . ويحكى ان اباه كان يجالس المتفقهة ويسأل الله ان يرزقه ابنا فقيها ، ويجالس الوعاظ ويسأل الله ان يرزقه ابنا واعظا ، فاستجيب له فى محمد واحمد . اشتغل على الامام[١] وغيره ورحل . وكان الامام ينحصر من تصانيفه ، وانه لما صنف المنخول عرضه عليه فقال : دفنتنى وأنا حى ، فهلاّ صبرت حتى اموت ؟ لان كتابك غطى على كتابى .

وُلّى تدريس النظامية ، ثم خرج عما هو فيه الى طريق التصوف واستوطن دمشق عشرين[٢] سنين ، وصنف « الاحياء » واجتمع بالشيخ نصر المقدسى ، ثم انتقل الى القدس ثم الى مصر والاسكندرية ثم عاد الى طوس .

وكان جامعا للفنون وصنف فيها الا النحو فانه لم يكن فيه بذاك ، والا الحديث فانه كان يقول : أنا مُزْجى البضاعة منه . ثم طلب الى تدريس نظامية نيسابور فأجاب محتسبا فيه الخير والافادة ونشر العلم ،

(١) الامام : يقصد امام الحرمين
(٢) الصحيح : ما يقارب السنتين

فأقام مدة على ذلك ثم تركه ، واقبل على لزوم داره وابتنى خانقاه الى جواره ، ولزم تلاوة القرآن والاشتغال بالحديث فسمع البخارى وبعض سنن أبى داود . ولو طالت مدته لبرز فيه ، لكن عاجلته المنية فمات سنة خمس وخمسماية عن خمس وخمسين سنة ، ودفن بمقبرة الطابران .

ومن مصفاته المشهورة :

١ ـ البسيط ٢ ـ والوسيط ٣ ـ والوجيز ٤ ـ والخلاصة ٥ ـ والاحياء ٦ ـ وغاية الغور فى دراية الدور ٧ ـ والمستصفى ٨ ـ والمنخول ٩ ـ واللباب ١٠ ـ وبداية الهداية ١١ ـ ومنهاج العابدين ١٢ ـ وكيمياء السعادة ١٣ ـ وتحصين المآخذ وغيرها . وقد تكلم على الاحياء جماعة منهم ابو بكر بن العربى والمازرى والطرطوشى ابو بكر محمد بن الوليد . وقد اوضحت ترجمته فى كتاب «تذكرة الاخيار بما فى الوسيط من الاخبار» فسارع اليه ترشد وبالله التوفيق .

ومن شعره ما انشده ابن السمعانى فى ذيله :ـ

حلت عقاربُ صُدْغه فى خدّه قمرا فجلّ به عن التشبيه
ولقد عهدناه يُحلُّ ببُرْجها فمن العجائب كيف حلّت فيه

وله ايضا انشده العماد الاصفهانى فى الخريدة :

هَبْنى صبوت كما ترون بزعمكم وحظيت منه بلثم خدّ ازهر
إنى اعتزلتُ فلا تلوموا إنه اضحى يقابلنى بوجه اشعرى[١]

(١) ابن الملقن : العقد المذهب فى طبقات حملة المذهب مخطوط بدار الكتب المصرية ص٥٦ أ ـ ٥٧ أ

ملحق رقم (٧)

من كلام اليافعى فى مخطوطه مرآة الجنان

اخبار سنة ٤٨٨هـ وفيها قدم الامام أبو حامد الغزالى دمشق • زاهدا فى الدنيا وما كان فيـه من رياستها ، والاقبال والقبول من الخليفة وكبراء الدولة ، وصنف الاحياء ، وأسمعه بدمشق ، وأقام بها سنتين ، ثم حج ورجع الى وطنه •

قلت : هكذا ذكر بعض المؤرخين ، انه قدم فى السنة المذكورة الى دمشق وذكر بعضهم أن توجهه فيها ، كان الى بيت المقدس ، لابسا الثياب الخشنة ، وناب عنه أخوه فى التدريس • وذكر انه توجه من القدس الى دمشق ، فأقام بها مدة ، يذكر الدروس فى زاوية الجامع ، فى الجانب الغربى منه • ثم ذكر انه انتقل منها الى بيت المقدس ، واجتهد فى العبادة ، وزيارة المشاهد ، والمواضع المعظمة ، وأشياء أخرى ، سيأتى ذكرها •

قلت : وأما قول الذهبى ، أنه صنف الاحيـاء ، واسـمعه بدمشق فمخالف لما ذكر الامام أبو حامد المذكور فى كتابه (المنقذ من الضلال) انه أقام فى الشام قريبا من سنتين مختليا بنفسه ، ولم يذكر إسماعه الاحياء ، ولا تصنيفه إياه ، ولو كان لذكره كما ذكر علوما أخرى ، صنف فيها قبل لسفر أيضا • فتصنيف الاحياء مع ما اشتمل عليه من العلوم الواسـعة ، المحاكية للبحر الذى أمواجـه متدافعة ، لا يمكن وضعه فى سنتين ولا ثالثة ولا رابعة •

وأما ما ذكره ابن كثير[1] وغيرهم من كونه حج قبل سفره الى الشام ، وانه أقام فى الشام عشر سنين ، وانه دخل مصر والاسكندرية ، ورام الاجتماع بملك المغرب ، فكل ذلك مخالف لصريح ما نص عليه ابو حامد فى كتابه المذكور ، فانه ذكر فيه انه توجه الى الشام قبل توجهه الى مكة ، ثم توجه الى الحج بعد السنتين المذكورتين ، ثم كر راجعا الى وطنه وأولاده . وهذا يدل على بطلان القول المذكور وفساده . والعجب كل العجب من قوله انه قصد سلطان المغرب بقضاء أرب ، وهو من ملاقاة السلاطين قد هرب ، وسيأتى ذكر ذلك فى ترجمته .

اخبار سنة ٥٠٥هـ وفيها توفى الامام ، حجة الاسلام ، زين الدين ، أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد ، الطوسى ، الغزالى . أحد الأئمة الاعلام .

اشتغل فى مبدأ أمره بطوس على أحمد الراذكانى ، ثم قدم نيسابور ، واختلف الى دروس إمام الحرمين ، أبى المعالى الجوينى ، وجد فى الاشتغال حتى تخرج فى مدة قريبة ، وصار من الاعيان المشاهير ، المشار اليهم فى زمن اساتذتهم وصنف فى ذلك الوقت ، وكان أستاذه يتبجح به ، ولم يزل ملازما له ، الى أن توفى فى التاريخ المذكور فى ترجمته .

فخرج من نيسابور الى المعسكر ، ولقى الوزير نظام الملك ، فأكرمه وعظمه وبالغ فى الاقبال عليه . وكان بحضرة الوزير جماعة من الافاضل ، فجرى بينهم الجدال والمناظرة فى عدة مجالس ، وظهر عليهم ، واشتهر اسمه ، وسارت بذكره الركبان .

ثم فوض اليه الوزير تدريس مدرسته النظامية بمدينة بغداد . فجاءها ، وباشر إلقاء الدروس بها ، وذلك فى جمادى الاولى سنة أربع

(١) اسماعيل بن عمر عمادالدين البصرى مؤرخ عربى ولد عام ٧٠١ هـ وتوفى سنة ٧٧٤ هـ .

وثمانين واربعمائة ، فعجب به أهل العراق ، وارتفعت عندهم منزلته . ثم ترك جميع ما كان عليه وسلك طريق الزهد والانقطاع ، وقصد الحج .

وذكر في الشذور ، أنه خرج من بغداد في سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ، متوجها الى بيت المقدس ، متزهدا ، لابسا خشن الثياب ، وناب عنه أخوه في التدريس . ثم ذكره في سنة خمس وخمسمائة . فلما رجع توجه الى الشام ، فأقام بمدينة دمشق مدة ، يذكر الدروس في زاوية الجامع الغربي منه ، وانتقل منها الى بيت المقدس ، واجتهد في العبادة ، وزيارة المشاهد ، والمواضع المعظمة ، ثم قصد مصر وأقام بالاسكندرية مدة . ويقال انه قصد الركوب في البحر الى بلاد المغرب ، على عزم الاجتماع بالامير يوسف بن تاشفين ، صاحب مراكش ، وسيأتي ذكره ان شاء الله تعالى . فبينما هو كذلك بلغه نعي يوسف المذكور ، فصرف عنايته عن تلك الناحية ، ثم عاد الى وطنه بطوس .

قلت : هذه الزيادة في ذكر دخوله مصر والاسكندرية ، وقصده الركوب الى ملك بلاد المغرب غير صحيحة ، فلم يذكر ابو حامد في كتابه المنقذ من الضلال سوى اقامته ببيت المقدس ودمشق ، ثم حج ورجع الى بلاده والعجب كل العجب كيف يذكر انه قصد الملك المذكور لأرب ، وهو من الملوك والمملكة هرب ، فقد كان له في بغداد الجاه الوسيع ، والمقام الرفيع ، فاحتال في الخروج عن ذلك وتعلل بأنه الى الحج سالك لأداء ما عليه من فروض المناسك ، ثم عدل الى الشام وأقام بها ما أقام . وكذا علماء التاريخ الحفاظ الاكابر ، ومنهم الامام الجليل ابو القاسم ابن عساكر ، لم يذكر هذه الزيادة التى تنافي رفع همته عن المقاصد الدنيوية لاعراضه عن الدنيا والخلق بالكلية .

ولما عاد الى الوطن اشتغل بنفسه وآثر الخلوة وصنف الكتب المفيدة في الفنون العديدة .

ومن مشهورات مصنفاته : (الوسيط) و (البسيط) و (الوجيز) و (الخلاصة فى الفقه) ومنهـا (إحيـاء العلوم) وهو من أنفس الكتب وأجملها ، وله فى أصول الفقه (المستصفى) و (المنخول) و (المتحل فى علم الجدل) و (تهافت الفلاسفة) و (محك النظر) و (معيار العلم) و (المضنون به على غير أهله) و (مشكاة الانوار) و (المنقذ من الضلال) و (حقيقة القولين) و (كتاب ياقوت التأويل فى تفسير التنزيل) فى أربعين مجلدا ، و (كتاب اسرار علم الدين) و (كتاب منهاج العابدين) و (الدرة الفاخرة فى كشف علوم الآخرة) و (كتاب الأنيس فى الوحدة) و (كتاب القربة الى الله عز وجل) و (كتاب اختلاف الابرار والنجاة من الاشرار) و (كتاب بداية الهداية) و (كتاب جواهر القرآن) و(الاربعين فى أصول الدين) و (كتاب المقصد الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى) و (كتاب ميزان العمل) و (كتاب القسطاس المستقيم) و (كتاب التفرقة بين الاسلام والزندقة) و (كتاب الذريعة الى مكارم الشريعة) و (كتاب المناوي والغايات) و (كتاب كيمياء السعادة) و (كتاب نصيحة الملوك) و (كتاب الاقتصاد فى الاعتقاد) و (كتاب شفاء العليل فى مسائل التعليل) و (كتاب أساس القياس) و (كتاب المقاصد) و (كتاب إلجام العوام عن علم الكلام) و (كتاب الانتصار) و (كتاب الرسالة اللدنية) و (كتاب الرسالة المقدسية) و (كتاب بيان النظر) و (كتاب المأخذ) و (كتاب القول الجميل فى الرد على من غير الانجيل) و (كتاب المستظهرى) و (كتاب الامالى) و (كتاب فى علم إعداد الوقف وحدوده) و (كتاب مفصل الخلاف) و (جزء فى الرد على المنكرين فى بعض ألفاظ إحياء علوم الدين) .

وقال بمدحه تلميـذه الشيخ الامام أبو العبـاس الاقلشي المحدث الصوفي صاحب كتاب النجم والكواكب وغيره :

أبا حامد أنت المخصص بالحمد وأنت الذى علمتنا سنن الرشد
وضعت لنا الاحياء يحيي نفوسنا وينقذنا من طاعة المارد المردي
فربع عبادات وعاداتها التى تعاقبها كالدر نظم فى العقد
وثالثها فى المهلكات وانه لمنج من الهلك المبرح بالبعد
ورابعها فى المنجيات وانه ليسرح بالارواح فى جنة الخلد
وفيها ابتهاج للجوارح ظاهر ومنها صلاح للقلوب من البعد

وكتبه كثيرة وكلها نافعة .

ثم ألزم بالعودة الى نيسابور ، والتدريس بها بالمدرسة النظامية ، فأجاب الى ذلك بعد تكرار المعاودات ، ثم ترك ذلك وعاد الى بيته فى وطنه ، واتخذ خانقاه للصوفية ، ومدرسة للمشتغلين بالعلم فى جواره ، ووزع أوقاته على وظائف الخير فى ختم القرآن ، ومجالسة أهل القلوب ، والقعود للتدريس ، الى أن انتقل الى ربه .

هذا ما ذكره بعض علماء التاريخ .

قلت : وكان رضى الله تعالى عنه ، رفيع المقام ، شهد له بالصديقية الاولياء الكرام ، وهو الحبر الذى باهى به المصطفى سيد الانام ، موسى وعيسى عليه وعليهما أفضل الصلاة والسلام ، فى المنام الذى رويناه باسنادنا العالى عن الشيخ الامام القطب أبى حسن الشاذلى والذى انتشر فضله فى الآفاق ، وتميز بكثرة التصانيف وحسنها على العلماء ، وبرع فى الذكاء ، وحسن العبارة وسهولتها ، وأيد حتى صار إفحام الفرق عنده أسهل من شرب الماء .

وقال الشيخ الامام الحافظ ، ذو المناقب والمفاخر ، السيد الجليل أبو

الحسن عبدالغافر الفارسى[1] ، محمد ابن محمد ابن محمد ابو حامدالغزالى، حجة الاسلام والمسلمين •

وأقام فى تلك الديار قريبا من عشر سنين يطوف ويزور المشاهد المعظمة •

قلت هكذا ذكر بعض المؤرخين وقد قدمت فى فساد ذلك من البيان ، ما يدل فيه على البطلان • والمعروف الذى نص عليه أبو حامد فى بعض كتبه ، أنه أقام فى الشام سنتين ، نعم ذكروا أنه أقام بعد رجوعه فى العزلة والخلوات ، وترك الاشتغال والمخالطات ، قريبا من عشر سنين •

قال الشيخ عبدالغافر : وأخذ فى التصانيف المشهورة التى لم يسبق اليها •

وقلت مشيرا الى شيء من ذكر ارتفاع مناقبه وأشرت الى الانتفاع ، ببحر علوم كتبه فى بعض القصيدات بقولى فى هذه الابيات[2] :

وإحيا علوم الدين طالعه تنتفع	ببحر علوم المستنير المحصل
أبي حامد الغزال غزل مدقق	من الغزل لم يغزل كذاك بمغزل
دُعي حجة الاسلام لا شك أنه	لذلك كفء كامل للتأهل
له فى منامي قلت انك حجة	لاسلامنا لى قال ماشئت لى قل

وقلت فى أخرى

بناكم وجيز من بناء قواعد	وجمع معان واختصار مطول
وكم من بسيط فى جلاء نفائس	وإيضاح إيجاز وحل لمشكل
وكم ذى اقتصار مودع رب قاطع	لافحام خصم مثل ماض به اعتل

(١) عبدالغافر بن اسماعيل الفارسى : ولد سنة ٤٥١هـ وتوفى سنة ٥٢٩هـ تفقه على امام الحرمين ابى المعالى الجوينى ، له ترجمة فى كتاب طبقات الشافعية للسبكى •

(٢) فى الابيات ذكر لعدد من مؤلفات الغزالى

بكف همام ذب عن منهج الهدى بحرب نضـال لا يرى غيـر أول
كمثل الفتى الحبر المباهي بفضله فمن بغـزّال العـلى وتغـزّل
به المصطفى باهى لعيسى بن مريم جليل العطـايا والـكليم المفضـل
أعندكمـا حبـر كهـذا فقيـل لا وناهيك فى هـذا الفخـار المؤثل
رآه الولي الشاذلي في منـامه ونرويه عنـه من طريق مسلسل
تصـانيفه فـاقت بنفـع وكثـرة وحلة حسن كم بها لعزيز قل[1]
وكـم حجـة الاسلام حاز فضيلة وكم حلـة حسناتهـا فضلـه جلى
بهـا جاهل مع حاسـد طاعن فذا تعامى وعنهـا ذاك أعمى قد ابتلى
وماضر سـلمي ذم عالى جمـالها ومنظرها الباهي ومنطقهـا الجلى
لئن ذمهـا جاراتهـا ونضـائر وعين جمالا فى حلاها وفى الحُلى
فما سلمت حسناء عن ذم حاسد وصاحب حق من عـداوة مبطـل

ولم يعقب الا البنات وكان يعرض عليه الاموال فما يقبلها ويعرض عنها ، ويكتفى بالقدر الذى يصون له دينه ، ولا يحتاج معه الى التعرض لسؤال •

قال الامام الحافظ أبو القاسم بن عساكر رحمة الله عليه : سمعت الامام الفقيه أبا القاسم سـعد بن على بن أبى القـاسم بن أبى هريرة الاسفرائينى الصوفى الشافعى بدمشق •

و (الغـَزالى) بفتح الغين المعجمة ، وتشديد الزاى ، وبعد الالف لام ، قال ابن خلكان : هذه النسبة الى الغزّال ، على عادة أهل خوارزم وجرجان فانهم ينسبون الى القصَّار القصَّارى ، والى العطّار العطّارى ، وقيل أن الزاى مخففة نسبة الى غزَالة ، وهى قرية من قرى طوس ،

(١) هكذا فى الاصل

قال : وهو خلاف المشهور ولكن هكذا قال السمعانى فى كتاب الانساب ؛ والله أعلم بالصواب •

قلت وفضائل الامام حجة الاسلام ابى حامد الغزالى وضى الله عنه أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تشهر •

وقد روينا عن الشيخ الفقيه الامام العارف بالله رفيع المقام ، الذى اشتهرت كرامته العظيمة وترادفت ، وقال للشمس يوما قفي فوقفت ، حتى بلغ المنزل الذى يريد من مكان بعيد ، أبى الذبيح اسمعيل ابن الشيخ الفقيه الامام ذى المناقب والكرامات والمعارف ، محمد بن اسمعيل الحضرمى ، قدس الله أرواح الجميع ، أنه سأله بعض الطاعنين فى الامام أبى حامد الغزالى المذكور رضى الله عنه فى فتيا ارسل بها اليه ، هل يجوز قراءة كتب الغزالى ؟ فقال رضى الله عنه فى الجواب : إنا لله وإنا اليه راجعون ، محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم سيد الانبياء ، ومحمد بن ادريس سيد الائمة ، ومحمد بن محمد بن محمد الغزالى سيد المصنفين • هذا جوابه رحمة الله عليه •

وقد ذكرت فى كتاب الارشاد ، أنه سماه سيد المصنفين لانه تميز عن المصنفين بكثرة المصنفات البديعات وغاص فى بحر العلوم ، واستخرج عنها الجواهر النفيسات وسحر العقول بحسن العبارة ، وملاحة الامثلة ، وبداعة الترتيب والتقسيمات ، والبراعة فى الصناعة العجيبة ، مع جزالة الالفاظ ، وبلاغة المعانى الغريبات ، والجمع بين علوم الشريعة والحقيقة ، والفروع والاصول ، والمعقول والمنقول ، والتدقيق والتحقيق ، والعلم ، وبيان معالم العبادات ، والعادات والمهلكات ، والمنجيات ، وابراز أسرار المعارف المحجبات العاليات ، والانتفاع بكلامه علما وعملا ، لا سيما أرباب الديانات ، والدعاة الى الله سبحانه ، برفض الدنيا والخلق ، ومحاربة

الشيطان والنفس بالمجاهدة والرياضات واقحام الفرق ، أيسر عنده من شرب الماء ، بالبراهين القاطعة ، وتوبيخ علماء السوء ، الراكنين الى الظلمة، والمائلين الى الدنيا الدنية ، أو الى الهمم الدنيات ، وغير ذلك مما لا يحصى مما جمع فى تصانيفه من المحاسن الجميلات ، والفضائل الجليلات ، مما لم يجمعه مصنف فيما علمنا ، ولا يجمعه فيما نظن ما دامت الارض والسموات ، فهو سيد المصنفين ، عند المنصفين ، وحجة الاسلام عند أصل الاستسلام لقبول الحق من المحققين فى جميع الاقطار والجهات ، وليس يعنى أن تصانيفه أصح فصحيحا البخارى ومسلم أصح الكتب المصنفات •

وقد صنف الشيخ الفقيه ، الامام المحدث شيخ الاسلام عمدة المسندين ، ومفتى المسلمين جامع الفضائل ، قطب‌الدين محمد ابن الشيخ الامام العارف أبى العباس القسطلانى ، رضى الله تعالى عنهما كتابا أنكر فيه على بعض الناس ، وأثنى على الامام أبى حامد الغزالى ، ثناء حسنا ، وذم انسانا ذمه وقال فى أثناء كلامه : ومن نظر فى كتب الغزالى ، وكثرة مصنفاته ، وتحقيق مقالاته ، عرف مقداره ، واستحسن آثاره ، واستصغر ما عظم من سواه ، وعظم قدره فيما أمده الله به من قوله ، ولا مبالاة بحاسد قد تعاطى ذمه ، أو معاند أبعده الله عن ادراك معانى كلامه بهمه فهو كما قيل :

قل لمن عن فضائله تعامى   تعام لن تعدم الحسناء ذاما

هذا بعض كلامه بحروفه •

وقال بعض العلماء المالكية ، والمشايخ العارفين الصوفية : الناس من فُضْلة علوم الغزالى • معناه أنهم يستمدون من علومه ومدده ، ويستعينون بها على ما هم بصدده زاده الله تعالى فضلا ومجدا ، على رغم الحساد والعدى •

قلت وقد اقتصرت على هـذا القدر اليسـير ، من محاسنه وفضله الشهير ، محتويا بذكر شيء مما له من الفضل الباهر ، والجاه والنصيب الوافر ، وشرف المجد والمفاخر ، ممـا روينا بالاسانيد العالية عن السادة الاكابر ، أعنى أمر صلى الله عليه وآله وسلم بتعزير من أنكر عليه ، حتى أن المنكر ما مات الا وأثر السوط على جسمه ظاهر ، بنصر الله عز وجل ونعم الناصر .

(١) اليافعى : مرآة الزمان مخطوط بدار الكتب المصرية

ملحق رقم (٨)

الغــزالى

الشيخ الامام البحر حجة الاســـلام أعجوبة الزمان زين‌الدين أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسى الشـــافعى الغزالى ، صاحب التصانيف والذكاء المفرط .

تفقه ببلده أولا ، ثم تحول الى نيسابور فى مرافقة جماعة من الطلبة ، فلازم إمام الحرمين ، فبرع فى الفقه فى مدة قريبـــة ، ومهر فى الكلام والجدل حتى صار عين المناظرين ، وأعاد للطلبة . وشرع فى التصنيف ، فما أعجب ذلك شيخَه ابا المعالى ولكنه مُظْهر للتبجُّح به .

ثم سار أبو حامد الى المخيَّم السلطانى ، فأقبل عليه نظام الملك‌الوزير ، وسُرّ بوجوده ، وناظر الكبار بحضرته ، فانبهر له وشاع أمره ، فولاه النّظام[١] تدريس نظاميّة بغداد ، فقدمهـا بعـد الثمـانين واربعماية ، وسنّه نحو الثلاثين . وأخذ فى تأليف الاصول والفقه والكلام والحكمة . وأدخله سيلان ذهنه فى مضايق الـكلام ومزالّ الاقدام ، ولله سرٌّ فى خلقه .

وعظم جاه الرجل وازدادت حشمته بحيث انه فى دست أمير وفى رتبة رئيس كبير . فأدّاه نظره فى العلوم وممارسته لأفانين الزهديات الى رفض الرئاسة ، والانابة الى دار الخلود والتألّه والاخلاص وإصلاح النفس . فحجّ من وقته ، وزار بيت المقدس ، وصحب الفقيه نصر بن

(١) النظام : اى نظام الملك .

ابراهيم بدمشق ، وأقام مدة وألّف كتاب « الاحياء » و « كتاب الاربعين » ، و « كتاب القسطاس » وكتاب « محك النظر » .

وراض نفسه وجاهدهـا ، وطرد شـيطان الرعونة ، ولبس زيّ الاتقياء .

ثم بعد سنواتٍ سار الى وطنه لازما لسُنَنه حافظا لوقتـه ، مكبّا على العلم .

ولمّا وزر فخر الملـك حضر أبا حامد ، والتمس منـه ان لا تبقى أنفاسُه عقيمة ، وألحّ على الشيخ الى أن لان الى القدوم الى نيسابور ، فدرّس بنظاميتها .

فذكر هذا وأضعافه عبدالغافر فى « السياق » ــ الى أن قال : ولقد زرته مرارا ، وما كنت أُحدس فى نفسى ــ مع ما عهدته من الزعارة والنظر الى الناس بعين الاستخفاف ، كِبْرا وخُيلاء واعتزازا بمـا رُزِق من البسطة والنطق والذهن وطلب العلو ــ أنه صار على الضدّ ، وتصفى عن تلك الكدورات . وكنت أظنه متلفعا بجلباب التكلّف ، متمسّا بما صار اليه ، فتحققت بعد السَّبْر والتنقير أن الامر على خلاف المظنون وأن الرجل أفاق بعد الجنون ، وحكى لنا فى ليال كيفية أحواله من ابتداء ما أظهر له طريقُ التألُّه وغلبة الحال بعد تبحُّره فى العلوم واستطالته على الكل بكلامه والاستعداد الذى خصّه الله به فى تحصيل أنواع العلوم وتمكنه من البحث والنظر ، حتى تبرّم بالاشتغال بالعلوم العريّة عن المعـاملة ، وتفكّر فى العـاقبة وما تبقى فى الآخرة . فابتدأ بصحبة الشيخ أبى على الفارمَذى ، فأخذ منه استفتاح الطريقة ، وامتثل ما كان يأمره به من العبادات والنوافل والاذكار والاجتهاد طلبـا للنجـاة . الى أن جاز تلك العِقاب وتكلّف تلك المشاق ، وما حصل على ماكان يرومه .

« ثم حكى أنه راجع العلوم وخاض فى الفنون الدقيقة والتقى بأربابها حتى تفتّحت له أبوابها وبقى مدة فى الوقائع وتكافؤ الادلّة ، وفتح عليه باب من الخوف بحيث شغله عن كل شيء وحمله على الاعراض عما سواه ، حتى سهُل ذلك عليه ، الى أن ارتاض وظهرت له الحقائق وصار ما كنا نظن به ناموسا وتخلقا ـ طبعا وتحققا ، وأن ذلك أثر السعادة المقدّرة »

ثم سألناه عن كيفية رغبته فى الخروج من بيته والرجوع الى مادُعِيَ اليه ، فقال معتذرا : « ما كنت أجوّز فى دينى أن أقف عن الدعوة ومنفعة الطالبين • وقد حقّ عليّ أن أبوح بالحق وأنطق به وأدعو اليه • » وكان صادقا فى ذلك فلما خف أمر الوزير ، وعلم أن وقوفه على ما كان ـ فيه ظهور وحشة وخيالُ طلب جاه ـ ترك ذلك قبل أن يُترك ، وعاد الى بيته ، واتخذ فى جواره مدرسة للطلبة وخانقاه[1] للصوفية ، ووزع أوقاته على وظائف الحاضرين : من ختم القرآن ومجالسة ذوى القلوب والقعود للتدريس حتى توفى بعد مقاساة لانواع من القصد والمناوأة من الخصوم والسعى فيه الى الملوك وحفظ الله له عن نَوش أيدى النكبات ، الى أن قال : « وكانت خاتمة أمره اقباله على طلب الحديث ومجالسة أهله ومطالعة الصحيحين ، ولو عاش لسبق الكل فى ذلك الفن بيسير من الايام»• قال : « ولم يتفق له أن يَرْوِى ، ولم يُعْقِب الا البنات • وكان له من الاسباب ـ إرثا وكسبا ـ مما يقوم بكفايته • وقد عُرِضت عليه أموال فما قبلها » • قال : « ومما كان يُعترض به عليه وقوع خلل من جهة النحو فى أثناء كلامه • وروجع فيه فأنصف واعترف انه ما مارسه ، واكتفى بما كان يحتاج اليه فى كلامه مع أنه كان يؤلف الخطب ويشرح الكتب بالعبارة التى يعجز الادباء والفصحاء عن أمثالها • ومما نُقِم عليه ما ذكرَ

(١) خانقاه : رباط أو تكية •

من الالفاظ المستبشعة بالفارسية فى كتاب « كيميا السعادة والعلوم » ، وشرح بعض الصُوَر والمسائل بحيث لا توافق مراسم الشرع وظواهر ما عليه قواعد الملّة • وكان الأولى به — والحق أحقُ ما يقال — تركه ذلك التصنيف والاعراض عن الشرح له ، فان العوام ربما لا يحكمون أصول القواعد والبراهين والحجج • فاذا سمعوا شيئا من ذلك تخيّلوا منه ما هو المضرُ بعقائدهم ، وينسبون ذلك الى بيان مذهب الاوائل • على أن المصنّف اللبيب اذا رجع الى نفسه علم أن أكثر ما ذكره مما رمز اليه اشاراتُ الشرع وان لم يَبُحْ به • ويوجد أمثاله فى كلام مشايخ الطريقة مرموزة ومصرّحا بها متفرقة • وليس لفظ منه الا وكما يشعر سائر وجوهه بما يوافق عقائد أهل الملّة ، فلا يجب حمله اذن الا على ما يوافق ولا ينبغى التعلّق به فى الرد عليه اذا أمكن ، وكان الاولى به أن يترك الافصاح بذلك • وقد سمعت أنه سمع سُنَن داوود من القاضى أبى الفتح الحاكمى الطوسى ، وسمع من محمد بن أحمد الحوارى والد عبدالجبار كتاب المولد لابن أبى عاصم بسماعه من أبى بكر بن الحارث عن أبى الشيخ عنه » •

قلتُ : ما نقمه عبدالغافر على أبى حامد فى الكيمياء فله امثاله فى غضون تواليفه ، حتى قال أبو بكر بن العربى : شيخنا أبو حامد بَلَع الفلاسفة ، وأراد أن يتقيأهم فما استطاع •

ومن معجم أبى على الصوفى تأليف القاضى عياض له قال : « والشيخ أبو حامد ذو الانباء الشنيعة والتصانيف العظيمة • غلا فى طريقة التصوف ، وتجرّد لنصر مذهبهم ، وصار داعية فى ذلك ، وألّف فيه تواليف مشهورة، أخِذ عليه فيها مواضع ، وساءت به ظنونُ أمّة ، والله أعلم بسرّه • ونفذ أمرُ السلطان عندنا بالمغرب وفتوى الفقهاء باحراقها والبعد عنها • فامتُثِل ذلك• مولده سنة خمسين وأربعماية » • — قلت : ما زال العلماءيختلفون،

ويتكلم العالِمُ في العالَمِ باجتهاده ، وكل منهم معذور مأجور ، ومَنْ عاند وخَرَقَ الاجماع فهو مأزور ، والى الله تُرْجَع الامور .

لأبي المظفر يوسف ، سبط ابن الجوزي ، في كتاب « رياض الافهام في مناقب أهل البيت » ، قال : « ذكر أبو حامد في كتابه « سرّ العالمين وكشف ما في الدارين » فقال في حديث : من كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه – أن عمر قال لعلي : بخٍ بخٍ ! أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة ! قال أبو حامد : وهذا تسليم ورضا . ثم بعد هذا غلب عليه الهوى حبًّا للرياسة وعَقْد البنود وأمر الخلافة ونهيها ، فحملهم على الخلاف فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون – وسرد كثيرا من هذا الكلام الفَسْل الذي تزعمه الامامية . وما أدري ما عذره في هذا . والظاهر أنه رَجَع عنه وتبع الحقَّ ، فان الرجل من بحور العلم ، والله أعلم . هذا ان لم يكن هذا وُضِع . هذا وما ذاك ببعيد ، ففي هذا التأليف بلايا تطيب . وقال في أوله : إنه قرأه عليه محمد بن تومرت المغربي سرًّا بالنظامية . قال : وتوسمتُ فيه المُلْك .

قلت : قد ألف الرجل في ذم الفلاسفة كتاب « التهافت » ، وكشف عَوارهم ، ووافقهم في مواضع ، ظنًّا منه أن ذلك حق أو موافق للمسألة . ولم يكن له علم بالآثار ، ولا خبرة بالسنن النبوية القاضية على العقل . وحُبِّب اليه ادمان النظر في كتاب « رسائل اخوان الصفا » ، وهو داءٌ عضال وجَرَب مُرْد وسُمّ قتّال ، ولولا أن أبا حامد من كبار الاذكياء وخيار المخلصين لتلف . فالحذار الحذار من هذه الكتب ! واهربوا بدينكم من شُبَه الاوائل ، والا وقعتم في الحيرة ، فمن رام النجاة والفوز فليلزم العبودية ، وليُدْمِنْ الاستغاثة بالله ، وليبتهل الى مولاه في الثبات على الاسلام وان يُتوفّى على ايمان الصحابة وسادة التابعين ، والله الموفّق ، فبحسن قَصْدِ العالم يغفر له وينجو ان شاء الله .

وقال أبو عمرو ابن الصلاح : فصل لبيان أشياء مهمّة أنكرت على أبي حامد : ففى تواليفه أشياءلم يرتَضِها أهلُ مذهبه ، من الشذوذ • منها قوله في المنطق : هو مقدّمة العلوم كلها ، ومن لا يحيط به فلا ثقة له بمعلوم أصلا • ـ قال : فهذا مردود ، اذ كل صحيح الذهن منطقيٌّ بالطبع • وكم من إمام ما رفع بالمنطق رأسا !

« فأما كتاب المضنون به على غير أهله ، فمعاذَ الله أن يكون له ! شاهدتُ على نســخة به بخط القـاضى كمـالالدين محمـد بن عبدالله الشهرزورى أنه موضوع على الغزالى ، وانه مخترع من كتاب « مقاصد الفلاسفة » وقد نقضه الرجل بكتاب « التهافت » » •

وقال أحمد بن صالح الجيلي فى تاريخه : أبو حامد ، لقب بالغزّالى، برع في الفقه ، وكان له ذكاء وفطنة وتصرف ، وقدرة على إنشاء الكلام وتأليف المعانى • ودخـل فى علوم الاوائل ـ الى أن قال : وغلب عليـه استعمال عباراتهم فى كتبه ، واستدعى لتدريس النظامية ببغداد فى سنة أربع وثمانين وبقى الى أن غلبت عليه الخلوة ، وترك التدريس ، ولبس الثياب الخشنة ، وتقلّل فى مطعومه ، ـ الى أن قال : وجاور بالقدس • وشرع فى « الاحياء » هناك ، أعنى بدمشق ، وحجّ وزار ورجع الى بغداد وسُمع منه كتابه « الاحياء » وغيره • فقد حدّث بهـا إذاً • ثم سـرد تصانيفه •

وقد رأيت كتاب « الكشف والانباء عن كتاب الاحياء » للمازرى ، أوله : « الحمد لله الذى أنار الحق وأدانه ، وأبار الباطل وأزاله » • ثم أورد المازرى اشياء مما نقده على أبى حامد ، يقول : ولقد أعجب من قومٍ مالكية يرون مالكا الامام يهرب من التجديد ويجانب أن يرسم رسما ،وان كان فيه أثر ما أو قياس ما ، تورّعا وتحفظا من الفتوى فيما يحمل الناس عليه ، ثم يستحسنون من رجلٍ فتاوى مَبْناها على ما لا حقيقة له ، وفيه

كثير من الآثار عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لفّق فيه الثابت بغير الثابت ، وكذا ما أورد عن السَّلف لا يمكن ثبوته كله . وأورد من نزعات الاولياء ونفثات الاصفياء ما يجلّ موقعه ، لكن مزج فيه النافع بالضار ، كاطلاقات يحكيها عن بعضهم لا يجوز إطلاقها لشناعتها ، وان أخذت معانيها على ظواهرها كانت كالرمز الى قدح الملحدين ، ولا تنصرف معانيها الى الحق الا بتعسُّف على اللفظ مما لا يتكلف العلماء مثله الا فى كلام صاحب الشرع الذى اضطرت المعجزات الدالّة على صدقه المانعة من جهله وكذبه الى طلب التأويل ، كقوله ان القلب بين إصبعين من أصابع الرحمن ، وان السموات على إصبع ، وكقوله : لأحرقت سُبُحات وجهه ، وكقوله : يضحك الله ـ الى غير ذلك من الاحاديث الوارد ظاهرها بما أحاله العقلُ . الى أن قال : فاذا كانت العصمة غير مقطوع بها فى حق الولىّ ، فلا وجه لاضافة ما لا يجوز إطلاقه اليه ، الا أن يثبت وتدعو ضرورة الى نقله فيتأوّل . ـ الى أن قال : ألا ترى لو أن مصنّفا أخذ يحكي عن بعض الحشوية مذهبه فى قدم الصوت والحرف وقدم الورق لما حَسُن به أن يقول : قال بعض المحققين ان القارىء اذا قرأ كتاب الله عاد القارىء فى نفسه قديما بعد أن كان مُحدثا ، أو ، قال بعض الحذّاق ان الله محل للحوادث اذا أخذ فى حكاية مذاهب الكرّامية .

وقال قاضى الجماعة أبو عبدالله محمد بن حمدين القرطبى : « ان بعض من يعظ ممن كان ينتحل رسم الفقه ثم تبرّأ منه شغفا بالشرعة الغزالية والنحلة الصوفية ، أنشأ كراسة تشتمل على معنى التعصّب لكتاب أبى حامد امام بدعتهم . فأين هو من شُنَع منا كيره ، ومضاليل أساطيره المباينة للدين ! وزعم أن هذا من علم المعاملة المفضى الى علم المكاشفة الواقع بهم على سرّ الربوبية الذى لا يسفر عن قناعه ولا يفوز باطّلاعه الا مَنْ تمطّى اليه ثبج ضلالته التى رفع لهم أعلامها وشرع أحكامها . قال أبو

حامد : وأدنى النصيب من هـذا العلـم التصديقُ به ، وأقل عقوبته أن لا يُرزق المنكر منه شيئا ، فاعرِضْ قوله على قوله ، ولا تشتغل بقراءة قرآن ولا بكتب حديث ، لان ذلك يقطعه عن الوصول الى ادخال رأسه فى كم جُبَّته والتدثر بكسائه ، فيسمع نداء الحق ، فهو يقول : ذروا ماكان السَلَفُ عليه ، وبادروا ما آمركم به » • ـ ثم ان هذا القاضى أقذع وسبّ وكفّر وأسرف ، فنعوذ بالله من الهوى •

وقال أبو حامد : وصدور الاحرار قبور الاسرار ، ومَنْ أفشى سرّ الربوبية كفر • ورأى قَتْلَ مِثْل الحلاّج خيرا من إحياء عشرة ، لاطلاقه ألفاظا • ونقل عن بعضهم قال : للربوبية سرّ ، لو ظهر لبَطلت النبوّة ، وللنبوة سرٌ ، لو كشف لبطل العلـم ، وللعلم سرٌ لو كشـف لبطلت الاحكام •

قلت : سرّ العلم قد كُشِف لصوفية أشقياء ، فحلّوا النظام و بَطَل لديهم الحلال والحرام •

قال ابن حمدين : ثم قال الغزالى : والقائل بهذا إن ان لم يرد إبطال النبوّة فى حق الضعفاء فما قال ليس بحق ، فان الصحيح لا يتناقض ، وان الكامل من لا يطفىء نورُ معرفته نورَ ورعه •

وقال الغزالى فى العارف : فيتجلى له أنوار الحق وتنكشف له العلوم المرموزة المحجوبة عن الخلق ، فيعرف معنى النبوّة وجميع ما وردت به ألفاظ الشريعة التى نحن منها على ظاهر لا على حقيقة •

وقال عن بعضهم : اذا رأيته فى البداية قلت صدّيقا ، واذا رأيته فى النهاية قلت زنديقا • ثم فسّره الغزالى فقال : إذ اسم الزنديق لا يُلصق الا بمعطّل الفرائض ، لا بمعطل النوافل •

وقال : وذهبت الصوفية الى العلوم الالهامية دون التعليمية ، فيجلس

فارغ القلب مجموع الهم يقول : الله ، الله ، الله ! على الدوام . فليفرغ قلبه ولا يشتغل بتلاوة ولا كَتْب حديث . قال : فاذا بلغ هذا الحد التزم الخلوة فى بيت مظلم وتدثر بكسائه ، فحينئذ يسمع نداء الحق : يا أيها المدثر ! ويأيها المزمّل !

قلت : سيّد الخلق انما يسمع يأيها المدثر من جبريل عن الله . وهذا الاحمق لم يسمع نداء الحق أبدا ، بل سمع شيطانا أو شيئا ، لا حقيقة ، من طيش دماغه . والتوفيق فى الاعتصام بالسُّنة والاجماع .

قال أبو بكر الطرطوشى : شحن أبو حامد « الاحياء » بالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ فلا أعلم كتابا على بسيط الارض أكثر كذبا منه . ثم شبّكه بمذاهب الفلاسفة ومعانى « رسائل إخوان الصفا » وهم قوم يرون النبوة مكتسبة ، وزعموا أن المعجزات حِيَلٌ ومخاريق .

قال ابن عساكر : حج أبو حامد وأقام بالشام نحوا من عشر سنين ، وصنّف ، وأخذ نفسه بالمجاهدة وكان مقامه بدمشق فى المنارة الغربية من الجامع . سمع صحيح البخارى من أبى سهل الحفصى وقدم دمشق فى سنة تسع وثمانين .

وقال ابن خلكان : بعثه النظام على مدرسته ببغداد فى سنة أربع وثمانين ، وتركها فى سنة ثمان وثمانين . وتزهّد وحجّ ، وأقام بدمشق مدة بالزاوية الغربية . ثم انتقل الى بيت المقدس وتعبد ، ثم قصد مصر وأقام مدة بالاسكندرية ، فقيل : عزم على المُضِيّ الى يوسف بن تاشفين سلطان مراكش فبلغه نعيُه . ثم عاد الى طوس ، وصنف « البسيط » و « الوسيط » و « الوجيز » و « الخلاصة » و « الاحياء » . وألّف « المستصفى » فى أصول الفقه ، و « المنخول » و « اللباب » و « المنتحل فى الجدل » و « تهافت الفلاسفة » و « محك النظر » و « معيار العلم » و

« شرح الاسماء الحسنى » و « مشكاة الانوار » و « المنقذ من الضلال » و « حقيقة القولين » وأشياء .

قال ابن النجار : أبو حامد امام الفقهاء على الاطلاق وربانى الامة بالاتفـاق ، ومجتهـد زمـانه ، وعين أوانه . برع فى المذهب والاصول والخلاف والجدل والمنطق وقرأ الحكمة والفلسفة وفهم كلامهم ، وتصدّى للرد عليهم . وكان شديد الذكاء قويّ الادراك ذا فطنة ثاقبة وغوص على المعانى حتى قيل إنه ألّف « المنخول » فرآه أبو المعالى فقال : دفنتنى وأنا حيّ ! فهلا صبرت ؟ الآنَ كتابُك غطّى على كتابى .

ثم روى ابن النجار بسنده أن والد أبى حامد كان يغزل الصوف ويبيعه فى دكانه بطوس فأوصى بولديه محمد وأحمد الى صديق له صوفيّ صالح ، فعلمهما الخط . وفنى ما خلف لهما أبوهما وتعذر عليهما القوت ، فقال : أرى لكما أن تلجآ الى المدرسة كأنكما طالبان للفقه عسى يحصل لكما قوت . ففعلا ذلك .

قال أبو العباس أحمد الخطيبى : كنت فى حلقة الغزالى فقال : مات أبى وخلف لى ولأخى مقدارا يسيرا ، ففنِـىَ بحيث تعذر علينا القوت . فصرنا الى مدرسة نطلب الفقه ، ليس المراد سوى تحصيل القوت ، فكان تعلـُّمنا لذلك لا ﻟِ لله ، فأبى أن يكون الا ﻟِ لله .

قال أسعد المِيهنـيّ : سمعت أبا حامد يقول : هاجرت الى أبى نصر الاسماعيلى بجرجان فأقمت ، الى أن أخذت عنه « التعليقة » . قال عبدالله بن على الاشيرى : سمعت عبدالمؤمن بن على القسيّ ، سمعت أبا عبدالله بن تومرت يقول : أبو حامد الغزالى قرع الباب وفُتح لنا .

قال ابن النجار : بلغنى أن إمام الحرمين قال : الغزالى بحرٌ مُغْـرِق ، والكيا أسد مُطْـرِق ، والخوافى نارٌ تحرق .

قال أبو محمد العثمانى وغيره : سمعنا محمد بن يحيى العبدرى المؤدب يقول : رأيت بالاسكندرية سنة خمسماية كأن الشمس طلعت من مغربها ، فعبره لى عابر ببدعة تحدث فيهم ، فبعد أيام وصل الخبر باحراق كتب الغزالى من ألمرية .

وفى التوكل من « الاحياء » ما نصّه : وكل ما قسَم الله بين عباده من رزق وأجَل وإيمان وكفر فكلّه عدل محض ، ليس فى الامكان أصلا أحسنُ ولا أتمُّ منه . ولو كان ، وادّخره تعالى مع القدرة ولم يفعله - لكان بخلا وظلما . قال أبو بكر بن العربى فى « شرح الاسماء الحسنى » : قال شيخنا أبو حامد قولا عظيما انتقده عليه العلماء فقال : وليس فى قدرة الله أبدعُ من هذا العالم فى الاتقان والحكمة ، ولو كان فى القدرة أبدع وأحكم منه ولم يفعله لكان ذلك منه قضاءاً للجود وذلك محال . ثم قال : والجوابُ أنه باعد فى اعتقاد عموم القدرة ونفى النهاية عن تقدير المقدورات المتعلقة بها ، ولكن فى تفاصيل هذا العالم المخلوق ، لا فى سواه . وهذا رأىٌ فلسفى قصدت به الفلاسفة قلب الحقائق ، ونسبت الاتقان الى الحياة مثلا ، والوجودَ الى السمع والبصر ، حتى لا يبقى فى القلوب سبيل الى الصواب . وأجمعت الامة على خلاف هذا الاعتقاد ، وقالت عن بكرة أبيها ان المقدورات لا نهاية لها لكل مقدّر الوجود ، لا لكل حاصل الوجود ، اذ القدرة صالحة . ثم قال : وهذه وهلة لا لعا لها ومنزلة لا تماسك فيها ، ونحن وان كنا نقطة من بحره ، فانا لا نرد عليه الا بقوله قلتُ كذا ، فليكن الردُّ بأدبٍ وسكينة .

ومما أخذ عليه : قال ان للقدر سرّاً نُهينا عن إفشائه - فأى سرّ للقدر ؟ فان كان مدركا بالنظر وُصل اليه ، ولا بد . وان كان مُدْركا بالخبر فأثبت فيه شىء ، وان كان يدرك بالحال والعرفان فهذه دعوى محضة . فلعله عَنى بافشائه أن نعمق فى القدر ونبحث فيه .

أنبأنا محمد بن عبدالكريم ، أنبأنا أبو الحسن السخاوى أنبأنا حطلبا ابن قمريه الصوفى ، أنبأنا سعد بن أحمد الاسفراييني بقراءتي ، أنبأنا أبو حامد محمد بن محمد الطوسى قال : اعلم أن الدين شطران ، أحدهما ترك المناهى ، والآخر فعل الطاعات ، وترك المناهى هو الاشد ، والطاعات يقدر عليها كل أحد ، وترك الشهوات لا يقدر عليها الا الصديقون ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : المهاجر من هجر السوء ، والمجاهد من جاهد هواه .

وقال أبو عامر العبدرى : سمعت أبا نصر أحمد بن محمد بن عبدالقاهر الطوسى يحلف بالله أنه أبصر فى نومه كأنه ينظر فى كتب الغزالى ـ رحمه الله ـ فاذا هى كلها تصاوير . ـ قلتُ : الغزالى امام كبير ، وما من شرط العالم أنه لا يخطىء .

وقال محمد بن الوليد الطرطوشى فى رسالة له الى ابن مظفّر : فأما ما ذكرت من أبى حامد فقد رأيته وكلمته ، فرأيته جليلا من أهل العلم ، واجتمع فيه العقل والفهم ، ومارس العلوم طول عمره ، وكان على ذلك معظم زمانه . ثم بدا له عن طريق العلماء ، ودخل في غمار العمّال ، ثم تصوّف وهجر العلوم وأهلها ، ودخل فى علوم الخواطر وأرباب القلوب ، ووساوس الشيطان ، ثم شابها بآراء الفلاسفة ورموز الحلاّج ، وجعل يطعن على الفقهاء والمتكلمين . ولقد كاد أن ينسلخ من الدين . فلما عمل « الاحياء » عَمَد يتكلم فى علوم الاحوال ومرامز الصوفية ، وكان غير أنيس بها ولا خبيرٍ بمعرفتها ، فسقط على أمّ رأسه ، وشحن كتابه بالموضوعات .

قلتُ : أما « الاحياء » ففيه من الاحاديث الباطلة جملة ، وفيه خير كثير لولا مافيه من آداب ورسوم وزهد من طرائق الحكماء ومُنْحَرِفى الصوفية ، نسأل الله علما نافعا . تدرى ما العلم النافع ؟ هو ما نزل به القرآن

وفسّره الرسول صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا ، ولم يأت نهيٌ عنه .
قال عليه السلام : مَنْ رغب عن سُنّتي فليس منّي ، فعليك يا أخي
بتدبّر كتاب الله وبادمان النظر في الصحيحين وسُنَن النّسائي «ورياض»
النواوي واذكاره ــ تفلح وتنجح . واياك وآراء عُبّاد الفلاسفة ، ووظائف
أهل الرياضيات ، وجوع الرهبان ، وخطاب طيش رؤوس أصحاب
الخلوات ! فكل الخير في متابعة الحنيفية السَّمْحة . فواعزتاه بالله !
اللهم اهدنا الى صراطك المستقيم ، نعم !

وللامام محمد بن علي المازري الصقلي كلام على « الاحياء » يدلُّ
على امامته يقول : « وقد تكررت مكاتبتكم في استعلام مذهبنا في الكتاب
المترجم بـ « إحياء علوم الدين » . وذكرتم أن آراء الناس فيه قد اختلفت :
فطائفة انتصرت وتعصّبت لاشتهاره ، وطائفة حذّرت منه ونَفرت ، وطائفة
لكتبه أحرقت . وكاتبني أهلُ المشرق أيضا يسألونني . ولم يتقدم لي قراءةُ
هذا الكتاب ، سوى نُبَذ منه . فان نفّس الله في العمر مددتُ فيه الانفاس،
وأزلتُ عن القلوب الالتباس . اعلموا أن هذا رأيتُ تلامذته ، فكلٌّ
منهم حكى لي نوعا من حاله ما قام مقام العيان . فأنا أقتصر على ذكر حاله
وحال كتابه وذكر جُمل من مذاهب الموحِّدين والمتصوفة وأصحاب
الاشارات والفلاسفة فان كتابه متردد بين هذه الطرائق » .

ثم ان المازري أثنى على أبي حامد في الفقه ، وقال : « وهو بالفقه
أعرفُ منه بأصوله ، وأما علم الكلام الذي هو أصول الدين فانه صنّف
فيه ، وليس بالمتبحّر فيها . ولقد فطنت لعدم استبحاره فيها ، وذلك أنه قرأ
علوم الفلسفة قبل استبحاره في فن الاصول ، فأكسبته الفلسفةُ جرأة على
المعاني ، وتسهُّلا للهجوم على الحقائق ، لان الفلاسفة مع خواطرها ،
لا يزعها شرعٌ . وعرّفني صاحبٌ له أنه كان له عكوف على « رسائل
إخوان الصفا » ، وهي إحدى وخمسون رسالة ، ألّفها مَنْ قد خاض في

علم الشرع والنقل ، وفى الحكمة ، فخرج بين العلمين • وقد كان رجل يعرف بابن سينا ملأ الدنيا تصانيف ، أدّته قوّته فى الفلسفة الى أن حاول ردّ اصول العقائد الى علـم الفلسفة • وتلطف جهـده حتى تمّ له ما لم يتمّ لغيره • وقد رأيت جُمَـلا من دواوينه ، ووجدت أبا حامد يعوّل عليه فى أكثر ما يشير اليه من علوم الفلسفة • وأمّا مذاهب الصوفية فلا أدرى على مَنْ عوّل فيها ! لكنّى رأيت فيما علّق بعضُ أصحابه أنه ذكر كتب ابن سينا وما فيها ، وذكر بعد ذلك كتب أبى حيّان التوحيدى • وعندى أنه عليه عوّل فى مذهب التصوف • وأُخْبِرْتُ أن أبا حيان ألّف ديوانا عظيما فى هذا الفن • وفى « الاحياء » من الواهيات كثير •

قال : وعادة المتورّعين أن لا يقولوا : قال مالك ، وقال الشافعى ـ فيما لم يثبت عندهم ـ • ثم قال : ويستحسن أشياء مبناها على ما لا حقيقة له كقصّ الاظفار وأن يُبْدأ بالسبابة لانها لها الفضلَ على باقى الاصابع ، لانها المسبِّحة ، ثم قص ما يليها من الوسطى لانها ناحية اليمين ، ويختم بابهام اليمنى ـ وروى فى ذلك أثرا ـ قلتُ : هو أثر موضوع •

ثم قال : وقال من مات بعد بلوغه ولم يعلم أن البارى قديم مات مسلما اجماعا • قال : فيه تساهل فى حكاية الاجماع فى مثل هذا الذى الاقرب أن يكون الاجماع فى خلافه • فحقيق أن لا يوثق بما روى • ورأيت له فى الجزء الاول يقول : ان فى علومه ما لا يسوغ أن يودع فى كتاب • فليت شعرى : أحق هو أو باطل ؟ فان كان باطلا فصدق ، وان كان حقا ـ وهو مراده بلا شـك ـ فلـم لا يودع فى الكتب ؟ ألغموضه ودقّته ؟ فان هو فهمه ، فما المانع أن يفهمه غيره ؟

قال أبو الفرج ابن الجوزى : صنّف أبو حامد « الاحياء » ، وملأه بالاحاديث الباطلة ، ولم يعلم بطلانها ، وتكلم على الكشف ، وخرج عن قانون الفقه • وقال ان المراد بالـكوكب والقمر والشمس اللواتى رآهن

ابراهيم : أنوار هي حُجُبُ الله عز وجل ، ولم يرد هذه المعروفات • وهذا من جنس كلام الباطنية •

وقد رد ابن الجوزى على أبى حامد فى كتـــاب « الاحياء » وبيّن خطأه فى مجلدات سماه كتاب الاحياء •

ولأبى الحسن ين سكر رد على الغزالى فى مجلد سمّاه : « إحيـاء ميّت الاحياء فى الرد على كتاب الاحياء » •

قلتُ : ما زال الأئمة يخالف بعضهم بعضا ، ويرد هذا على هذا • ولسنا ممن يذم العالم بالهوى والجهل • نعم !

وللامام : كتاب « كيمياء السعادة » ، وكتاب « المعتقد » وكتاب « إلجام العوام » ، وكتاب « الرد على الباطنية » ، وكتاب « معتقد الاوائل » ، وكتاب « جواهر القرآن » ، وكتاب « الغاية القصوى » ، وكتاب « فضائح الاباحية »، و « مسئلة غور الدور » ــ وغير ذلك •

قال عبدالغافر الفارسى : توفى يوم الاثنين رابع عشر جمادى الآخرة سنة خمس وخمسماية وله خمس وخمسون سنة • ودفن بمقبرة الطابران، قصبة بلاد طوس •

وقولهم الغزّالى والعطّارى والخبّازى ــ نسبةٌ الى الصنائع بلسان العجم ، يجمع ياء النسبة والصنعة •

وللغزالى أخ واعظ مشهور ، وهو أبو الفتوح أحمد ، له قبول عظيم فى الوعظ • يـُزَنُ برقـة الدين والاباحة • بقى الى حـدود العشرين وخمسماية • وقد ناب عن أخيـه فى تدريس النظـامية ببغداد لما حجّ مديدة •

قرأت بخط النواوى رحمه الله : قال الشيخ تقىالدين ابن الصلاّح ،

وقد سُئل : لِمَ سُمِّى الغزالى بذلك ؟ فقال : حدثنى من أبويه عن أبى الحرم المَاكسى الاديب ، حدثنا أبو البناء محمود الفرضى قال حدثنا تاج الاسلام ابن خميس قال لى الغزّالى : الناس يقولون لى الغزّالى ولستُ الغزّالى ، وانما أنا الغزالى منسوب الى قرية يقال لها غَزَالة ، أو كما قال .

وفى أواخر « المنخول » للغزالى كلام فجّ فى امام لا أرى نقله هنا .

ومن عقيدة أبى حامد رحمه الله تعالى : أولها « الحمد لله الذى تعرّف الى عباده بكتابه المنزّل على لسان نبيّه المرسل بأنه فى ذاته واحد لا شريك له ، فرد لا مثل له ، صَمَد لا ضدّ له ، لم يزل ولا يزال منعوتا بنعوت الجلال ، ولا يحيط به الجهات ، ولا تكنفه السموات ، وانه مستوٍ على العرش على الوجه الذى قاله ، وبالمعنى الذى أراده ، منزّها عن المماسّة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال ، وهو فوق كل شىء الى التخوم ، وهو أقرب الينا من حبل الوريد ، لا يماثل قربه قرب الاجسام ، كان قبل خلق المكان والزمان ، وهو الآن على ما كان عليه ، وأنه بائنٌ بصفاته من خلقه ، ما فى ذاته سواه ، ولا فى سواه ذاته . مقدّس عن التغيُّر والانتقال ، لا تحلّه الحوادث . وأنه مرئيٌّ الذات بالابصار فى دار القرار إتماما للنعم بالنظر الى وجهه الكريم » ــ الى أن قال: « ويدرك حركة الذرّ فى الهواء ، لا يخرج عن مشيئته لفتة ناظر ولا فلتة خاطر ، وأن القرآن مقروء بالالسنة ، محفوظ فى القلوب ، مكتوب فى المصاحف ، وأنه مع ذلك قائم بذات الله لا يقبل الانفصال بالانتقال الى القلوب والصحف ، وأن موسى سمع كلام الله بغير صوت ولا حرفٍ ، كما تُرى ذاته من غير شكل ولا لون ، وأنه يفرّق بالموت بين الارواح والاجسام ، ثم يعيدها اليها عند الحشر ، فيبعث من فى القبور .

ميزان الاعمال معيار يُعَبّر عنه بالميزان وان كان لا يساوى ميزان

الاعمال ميزان الجسم الثقيل كميزان الشمس وكالمسطرة التى هى ميزان السطور ، وكالعروض ميزان الشعر ، •

قلتُ : بل ميزان الاعمال له كفّتان ، كما جاء فى الصحيح ، وهذا المعتقد غالبه صحيح ، وفيه ما لم أفهمه ، وبعضه فيه نزاع بين أهل المذاهب• ويكفى المسلم فى الايمان أن يؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورُسُله ، والقدر : خيره وشرّه والبعث بعد الموت ، وأن الله ليس كمثله شيء أصلا ، وأن ما ورد من صفاته المقدّسة حق يمرّ كما جاء ، وأن القرآن كلامُ الله وتنزيله ، وأنه غير مخلوق ـ الى أمثال ذلك مما أجمعت عليه الامة ، ولا عبرة بمن شذّ منهم • فان اختلفت الامة فى شيء من مُشْكِل أصول دينهم ، لزمنا فيه الصمت وفوّضناه الى الله وقلنا : الله ورسوله أعلم • ووسّعنا فيه السكوت •

فرحم الله الامام أبا حامد • فأين مثله فى علومه وفضائله ؟! ولكن لا ندّعى [٨١ ا] عصمته من الغلط والخطأ ، ولا تقليدٍ فى الاصول •

الذهبى :ـ سير النبلاء : مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ١٢١٩٥ ورقة ٧٤ب ـ ٨١ أ

ملحق رقم (٩)

الغزالى فيلسوف دينى

فيما يلى جزء من البحث القيم الذى قدمه الاستاذ الدكتور محمد ثابت الفندى فى مؤتمر الغزالى المنعقد بدمشق سنة ١٩٦١ .

كثيرا ما تطلعت الى تفسير فلسفى للاسلام من حيث هو دين ، وكثيرا ما حاولت التماس مثل تلك الفلسفة الدينية عند اولئك «المتفلسفة الاسلامية» من أمثال الفارابى وابن سينا وابن رشد . ولا أعتقد اننى ظفرت بشىء قيم لديهم فى هذا الموضوع ، فلقد كان جل اهتمامهم منصرفا الى الموضوعات التقليدية فى الفكر اليونانى .

وفيما يختص بابن سينا بالذات الذى كان يتطلع الى فلسفة اشراقية أو مشرقية غير الفلسفة اليونانية ، اذكر أننى اختتمت بحثا فى مهرجانه الذى أقيم فى مثل هذا الشهر من عام ١٩٥٢ بعبارة استبعدت فيها احتمال تعبيره عن فلسفة اسلامية حقة ، فقلت إذ ذاك : « ان فلسفة الرئيس وما نتج عنها من آراء وانظار فى علم التوحيد أمور ينبغى أن يعاد النظر فيها اذا أريد بها ان تكون معبرة حقيقة عن فلسفة دينية اسلامية ، ذلك لان المسائل والحلول فيها كانت أقرب الى الوثنية اليونانية » .

لكن يبدو ان الامر يختلف تماما اذا ما حاولنا التماس فلسفة للدين الاسلامى فى آفاق فكرية اخرى كالكلام والتصوف ، وخاصة فى كتابات الغزالى الذى نحتفل الآن بذكراه .

إن هذا الاحتفاد كان بالنسبة لى فرصة طيبة لكى اعيش تجربة أخرى

فريدة مع تفكير الغزالى بعد انقضاء ثلاثين سنة على أول لقاء لى به وأول محاولة للكتابة عنه • ولقـد ظفرت من تجربتى الجـديدة بمعين روحى لا ينضب ، ولمست عن قرب كيف ان تفكيره كله إنما هو محاولة كبرى منقطعة النظير فى تقديم اسلام غير اسلام الفقهـاء وأصحـاب التشريع ، وفلسفة المتكلمين والمتفلسفة الاسلامية حقا • وهذا التفكير هو ما اعتبره فلسفة دينية للغزالى معبرة فى الوقت عينه عن الاسلام كدين •

وطبعا ما كان الغزالى ليرضى ان تنسب تفكيره الى الفلسفة حتى ولو كانت اسلامى بعد ان وصم الفلسفة وأصحابها بالكفر • إلا ان الغزالى فى الواقع هو فيلســوف كبير أراد أم لـم يرد ، أدار فلسفته حول الدين الاسلامى وعبر عنه تعبيرا اصيلا وقويا •

والغزالى فيلسوف من أكثر من جهة :

فمن جهة أولى كان الباعث الاساسى لكتاباته الغزيرة التى شن فى بعضها حروبا فى جبهات متعددة كجبهـات الفقهـاء والباطنية والفلاسفة والمتكلمين ، وبسط فى بعضها الآخر وجهات نظره التى ارتضاها ودافع عنها ، كان ذلك الباعث الاساس مشكلة فلسفية من الدرجة الاولى فى النوع وفى الاهمية ألا وهى مشكلة اليقين الذى لا يتزعزع والذى يميز المعرفة الحقة • لقد تطلع الغزالى دائما الى اليقين الذى لا يقبل الشك فيما وراء كل الحقائق التى قدمتها اليه علوم عصره • وهذا ما صاغه الغزالى فى المنقذ من الضلال فى عبارة تذكرنا بالقاعدة الاولى من قواعد المنهج عند الفيلسوف رينيه ديكارت فيقول : « انما مطلوبى العلم بحقائق الامور • فظهر لى ان العلم اليقينى هو الذى ينكشف فيه المعلوم انكشافا لا يبقى معه ريب ولا يقارنه إمكان الخطأ والوهم ولا يتسع القلب لتقدير ذلك ، بل الامان من الخطأ ينبغى أن يكون مقارنا لليقين • إن كان ما اعلمه على هذا

الوجه ولا أتيقنه هذا النوع من اليقين فهو علم لا ثقة فيه ولا امان معه . وكل علم لا امان معه فليس بعلم يقيني »[١] .

ومن ثم نرى ان الباعث على تفكير الغزالى واهتماماته انما هو مشكلة فلسفية اساسية طالما بعثت غيره من كبار الفلاسفة ، ألا وهى مشكلة اليقين فى المعرفة .

أما الوجه الثانى الذى يجعل من الغزالى فيلسوفا فهو ان الحقيقة التى تتميز بذلك اليقين انما هى عنده « الحقيقة الصوفية » دون غيرها من أنواع الحقائق . انه قبل بذلك معيارا للحقيقة كما قبل الفلاسفة عبر القرون معايير أخرى ، وجعل معياره الصوفى هذا الفيصل فى كل مشكلة فكرية ومنها المشكلة الدينية برمتها . انه يقول : ان اليقين الصوفى ليس « بنظم دليل وترتيب كلام ، بل بنور يقذفه الله تعالى فى الصدر ، فذلك النور هو مفتاح اكثر المعارف . فمن ظن ان الكشف موقوف على الادلة المحررة فقد ضيق رحمة الله تعالى الواسعة »[٢] ويقول فى عبارة ادق : ان اليقين عبارة عن معرفة مخصوصة ومتعلقة المعلومات[٣] ، وفى هذه العبارة الاخيرة نجد ما يميز مثل هذا اليقين الصوفى من حيث انه معرفة للخاصة من الناس متعلقة بمعلومات خاصة أيضا .

لنلحظ انى قلت : « الحقيقة الصوفية » ولم أقل « الحقيقة الدينية » فهناك فارق ، فنحن نعلم من تاريخه الفكرى الذى قصه علينا انه كان فى بغداد من علماء الشريعة والفقه . ولكن هنا فى دمشق اقبل بهمته على « طرق الصوفية » وانه تعلم عندئذ الحقائق كما يقول « بالذوق والسلوك » أو بالذوق والحال وتبدل الصفات »[٤] . فالدين واحد بعينه فى الحالين ،

---

(١) المنقذ : ص١١
(٢) المنقذ : ص١٤
(٣) الاحياء : حـ١ ص٧٤
(٤) المنقذ : ص٤١

وانما الذى جد عليه فى دمشق انما هو الفهم الصوفى والحقيقة الصوفية ، ومن ثم يمكن التأكيد بأن نقطة البدء فى تفكيره ، التى صبغت نظرته الى الاشياء والعالم لم تكن الدين أو الفقه وانما كانت الحقيقة الدمشقية المنبت ، أى الصوفية وتلك حقيقة شخصية وفردية بكل معانى الكلمة اذ هى مخصوصة ومتعلقة المعلومات كما قال ، ومن ثم فهى موقف فلسفى أصيل حيال العالم والاشياء لا نزاع فى قيمته الفلسفية المستقلة عن الدين وهو موقف له نظيره فى عالم الفلسفة وخاصة فى ألمانيا عند امثال ديكارت[1] وبوهمه . ان هذا الموقف الفلسفى الذى أضاء به الغزالى كل حقائق الدين لما يبرر وصفنا له بأنه فيلسوف .

أما الوجه الثالث الذى يجعل منه فيلسوفا للدين الاسلامى بالذات فهو ان الموضوعات التى تناولها الغزالى والآراء التى أبداها بشأنها انما هى من صميم ما يسمى عند الفلاسفة « بفلسفة الدين » يقول فرجيليوس فيرم Vergilius Ferm فى تعريف فلسفة الدين : « ان فلسفة الدين بحث فى موضوع الدين من الناحية الفلسفية .. ومن مسائلها طبيعة الدين ووظيفته وقيمته ، صدق دعاواه ، الدين والاخلاق .. صلة الله بالانسان من حيث الحرية والمسؤولية ، الكشف الصوفى ، الصلاة واستجابة الدعاء ، قيمة الصور التقليدية فى التعابير والشعائر والعقائد والطقوس والوعظ ، مسألة طبيعة الاعتقاد والايمان ، مسألة الالوهية ووجودها ... الخ » ثم يقول ايضا : « ان موضوع فلسفة الدين فى نظر الدوائر المحافظة ليس موضوعا لبحث فلسفى حر وانما هو فلسفة دين معين . انه حينئذ دفاع صريح أو مقنع عن دين سبق الايمان به »[2] ذلك هو مفهوم فلسفة الدين عند الفلاسفة .

اذا وضعنا نصب أعيننا مثل تلك المسائل التى يذكرها فيرم Ferm

---

(١) ديكارت : فرنسى الاصل ولعل هذا خطأ مطبعى ورد فى الاصل .
(٢) راجع قاموس الفلسفة لمخرجه D.Runes ص٢٣٥ .

كموضوعات لفلسفة الدين فلا شـك ان الغزالى فى كتاباته المتـلاحقة لم يستوعبها جميعا فحسب بل جاوزها بكثير الى ما هو ابعد مدى . ثم انه لا يصح أن يقدح فى القيمة الفلسفية لتفكيره ، أنه برر بواسطته وقائع دين معين سبق الايمان به . ففضلا عن جواز هذا كما نفهم من « فيرم » يجب أن تتذكر ان ذلك انما هو وليد عنصر أجنبى عن الدين نفسه واعنى طريق التصوف الذى أطل منه الغزالى على العالم بأسره بما فيه الدين المنقول اليه بالتقليد والوراثة .

لكل هذه الاسباب الغزالى فيلسوف برغمـه يجب الاهتمـام بآرائه الفلسفية كتعبير عن فلســفة للدين الاســلامى مختلفة تماما عن فلسفات الفقهاء والمتكلمين و « المتفلسفة الاسلامية » جميعا .

الملحق رقم (١٠)

الغـزالى الفيلسوف

بحث قيم القـــاه الدكتور الاستاذ ابراهيم بيومى مدكور فى مؤتمـر الغزالى بدمشق .

أبو حامد الغزالى عَلَم من أعلام الفكر الانسانى ، يوضع الى جانب سقراط وافلاطون بين اليونان ، والقديس أوغسطين والقديس توماس بين اللاتين ، وديكارت وبسكال بين المحـدثين . وهو قبـل كل شىء حجة الاسلام ، طبع طائفة من الدراسات الاسلامية بطابعه ، ونحا بهـا منحى لا تزال آثاره ملحوظة الى اليـوم . أثار ما أثار من جـدل ومناقشـة ، وانتشرت تعاليمه فى البلاد الاسلامية المختلفة . ومنذ أوائل القرن السادس الهجرى ومفكرو الاسـلام يتدارسونه وينقلون عنـه ، ويحتجون به الى اليوم .

ولم يقف أثره عند الشرق ، بل امتد الى الغرب فى القرون الوسطى والتاريخ الحديث . فترجم بعض كتبه الى اللاتينية ، وردد القديس توماس وروجر بيكون ــ بين كبـار المدرسين فى القرن الثالث عشر ــ آراءه مؤيدين لها أو معارضين ، وعنهما انتقلت الى التاريخ الحديث . واستلفت الغزالى أيضا نظر الفكر الغربى المعاصر ، فكان حظه من الدراسة عظيما فى المائة سنة الاخيرة ، توافر عليه فريق من أعلام المستشرقين ، فأرخوا له ،

وشرحوا آراءه ونظرياته ، وترجموا بعض كتبه . وأصبحنا نقرأ له فى الانجليزية والفرنسية والاسبانية والالمانية ، كما نقرأ له فى العربية والفارسية واللاتينية .

وثقافة الغزالى خصبة متنوعة ، عميقة شاملة ، فهو فقيه وأصولى ، متصوف وأخلاقى ، متكلم وفيلسوف . وضع فى الفقه كتبا مطولة ومتوسطة وموجزة تمتاز بدقة الترتيب ، ووضوح العبارة ، والبعد عن التعريفات الخيالية . ولا تزال تعد من أمهات كتب الفقه الشافعى ، وان كانت لم تنل بعد حظها من النشر والتحقيق العلمى . وسلك بعلم الاصول مسلكا خاصا ، فربطه بالمنطق ، وعده بابا من أبواب مناهج البحث . ومـا الدراسات الاصولية الا رسم لأسس التشريع الاسلامى ، وتحديد لخطة البحث فيه ، وكتابه « المستصفى » ، وهو حجة فى بابه ، خير شاهد على ذلك .

واذا صح لنا أن نتحدث عن تصوف سنى على نحو ما ذهب اليه القشيرى ، فان الغزالى منحه حياة وقوة لا يزال يعيش عليها حتى اليوم . واذا كان ينكر الاتحاد والحلول اللذين قال بهما الجنيد والحلاج ، فانه يسلم بالذوق والفيض والالهام ، ويرى أن طهارة النفس سبيل لكشف الحجب والوصول الى معلومات وحقائق لا يمكن الوصول اليها عن طريق الحس والعقل . ويختلط التصوف عند الغزالى بالاخلاق كل الاختلاط ، ويعد كتاب « الاحياء » بحق مؤلفا صوفيا وأخلاقيا فى آن واحد . ولا نزاع فى أن الغزالى على رأس الاخلاقيين فى الاسلام ، فصَّل القول فى الاخلاق الدينية ، وأقامها على دعائم سيكلوجية ، حلل أمراض النفس ، وطب لهـا روحيا وجسميا .

والغزالى من أكبر متكلمى الاسلام ، ان لم يكن أكبرهم ، أيد آراء الاشاعرة وأهل السنة ، وحاول أن يصبغ علم الكلام بصبغة صوفية بعد أن

تمكن منه المذهب العقلى والمبادىء الفلسفية . وبرغم دعوته الى « الجام العوام عن علم الكلام » ، وقوله بـ « الاقتصاد فى الاعتقاد » ، فانه انتهى الى آراء كلامية فيها عمق ودقة ونظر مجرد وفلسفة . وبرغم أنه قال « بتهافت الفلاسفة » ، وحمل عليهم حملة شعواء ، فانه فتح الباب لادماج الفلسفة فى الكلام ، ودرسها تحت كنفه على نحو ما صنع المتكلمون من بعده كالنسفى فى « عقائده » والايجى فى « مواقفه » .

والواقع أن موقف الغزالى من الفلسفة يدعو الى كثير من التساؤل : أفيلسوف هو حقا ؟ وان كان ، فما فلسفته ؟ وما أثرها ؟ ولم حمل على الفلاسفة كل هذه الحملة ؟

وعندى أنه كان لا بد له أن يتفلسف ، وأن يتفلسف فى عمق وسعة . كان لا بد أن يتفلسف لان الفلسفة فى عهده كانت جزءا من الثقافة الكاملة ، فلا يستكمل الدارس ثقافته الا ان ألم بقسط منها ، ذلك لانه أضحى للمسلمين فلسفة يُسرت مواردها ، وتعددت كتبها . واذا كانوا قد عنوا بالنقل عن غيرهم خلال القرنين الثانى والثالث الهجرى ، فانهم بدءوا منذ القرن الرابع يفلسفون بأنفسهم ولانفسهم ، وكونوا مدرسة فلسفية على رأسها الفارابى وابن سينا .

وكان لا بد للغزالى أن يتفلسف أيضا ، لانه شغف بالدراسات الكلامية فى سن مبكرة ، وتتلمذ لامام الحرمين نحو ثمان سنوات ، وهو شيخ الاشاعرة فى عصره . وقد سبق للمعتزلة أن فلسفوا علم الكلام ، وأضحى فى أيديهم أول فلسفة الهية فى الاسلام . ولم يخرج به الاشاعرة عن ذلك كثيرا ، وكل ما صنعوا أنهم صوروه تصويرا آخر .

ولم تقف الفلسفة فى القرن الخامس الهجرى عند الخاصة ، بل امتدت الى العامة لانتشار المذاهب الكبرى وتعارضها ، فكان هناك رافضة

وحنابلة ، شيعة وأهل سنة ، معتزلة وأشاعرة ، فلاسفة وعلماء . ويكفى أن نشير الى بعض وجوه معبرة ، ففى هذا القرن عاش أبو عبدالله البغدادى الشيعى (٤١٣هـ) ، والقاضى عبدالجبار شيخ المعتزلة (٤١٥هـ) ، وأبو على ابن سينا شيخ الفلاسفة (٤٢٨هـ) ، وابن الهيثم الرياضى والطبيعى المشهور (٤٣٠هـ) ، وابن حزم حجة الاندلس (٤٤٤هـ) ، والاسفراييني (٤١٨هـ) ، والجويني (٤٧٨هـ) من كبار الاشاعرة ، والحسن بن صباح (٤٨٥هـ) زعيم الباطنية . وللاسماعيلية والباطنية بوجه خاص دعاة كانوا يطوفون بالبلاد الاسلامية شرقا وغربا ، ويعقدون حلقات يشرحون فيهـا مذهبهم وينقضون مذاهب خصومهم ، وفى مناقشاتهم دين وسياسة وعلم وفلسفة . وكان لا بد لمن يعيش فى خراسان والعراق أن يلم بذلك ،ويندفع بسببه نحو الفلسفة دفعا ، وهكذا كان شأن الغزالى . وكم يذكرنى موقف الفلسفة فى هذا القرن بموقف الاعتزال فى القرن الثالث الهجرى ، اختلطا معا بالسياسة فألَّبت عليهما الخصوم والاحقاد .

وحين شاء الغزالى أن يفلسف ويتفلسف دفعه حب الاستطلاع أن يقرأ كثيرا ، قرأ لفلاسفة الاسلام كمـا قرأ لغيرهم . استوعب الفلسفة اليونانية كما ألم بالفلسفات الشرقية ، استهوته آراء الرواقيين وبعض رجال مدرسة الاسكندرية أكثر مما استهواه المذهب المشائى ، وتمكن كل التمكن من فلسفة أرسطو والفارابى وابن سينا . قرأ من الفلسفة ما قرأ بنيسابور فى النصف الاول من حياته ، ثم انتقل الى بغداد ففتحت أمامه آفاق فلسفية جديدة . وأخذ يقرأ مرة أخرى ، ويمعن فى التأمل والنظر طوال ثلاث سنوات كما ورد على لسانه فى « المنقذ من الضلال » . ونظرة الى كتبه عامة تشهد بمدى وقوفه على التراث الفلسفى المتشعب المتنوع ، القديم والحديث.

ولقد ظهرت ثمار قراءته فيما كتب وألف ، فوضع فى المنطق أكثر من كتاب : أخصها « معيار العلم » ، و « محك النظر » ، و « مقدمة

المستصفى » • ووضع فى الفلسفة عامة كتابين كبيرين ، أولهما « مقاصد الفلاسفة » ، وهو تلخيص شامل واضح للنظريات الفلسفية على نحو ما صورها الفارابى وابن سينا ، ويقع فى ثلاثة أقسام : أولها فى المنطق ، وثانيها وأطولها فى الالهيات ، وثالثها فى الطبيعيات • وقد ترجم هذا الكتاب الى اللاتينية تحت عنوان Philosophia Algazalis

وقرىء ونوقش من مدرسين كثيرين ، ومن الغريب أن مقدمته لم تترجم، على نحو ما حدث بالنسبة « لشفاء » ابن سينا • وهى تبين موقف الغزالى من أقسام الفلسفة المختلفة ، فهو يقر الرياضيات من حساب وهندسة ، لانه ليس فيها ما يخالف العقل • ويقر المنطقيات أيضا ، لانها تهذب طرق الاستدلال ويشترك فيها جميع النظار • ويرى أن الحق فى الطبيعيات مشوب بالباطل ، وأن الصواب مشتبه بالخطأ • أما الالهيات فأكثر عقائد الفلاسفة فيها على خلاف الحق ، والصواب فيها نادر • وروجر بيكون الفرنسيسكانى الانجليزى هو الذى وقف وحده ـ بين المدرسين ـ على هذه المقدمة ، وتبين آراء الغزالى فيها •

والكتاب الثانى « تهافت الفلاسفة » ، أشهر كتبه ، وأخطرها ، وهو دون نزاع من أهم الكتب الفلسفية فى القرون الوسطى • كتبه فى سن النضج قبل أن يهجر بغداد بقليل ، فجاء عميقا دقيقا ، يؤذن بتمكن تام وسيطرة شاملة • فيه مادة غزيرة واعتراضات محكمة ، ولمس لصميم المشكلات ، ونقد حاد • جمع مشكلات الفلسفة الدينية ، إسلامية كانت أو مسيحية ، ولخصها فى عشرين مسألة ، ثم ناقشها الواحدة تلو الاخرى • وهذا ولا شك منهج جديد فى العرض والتأليف ، وفى جمعه بحث وهضم وفطنة واختيار ، وفى مناقشته أصالة وابتكار • وقوة هذا الكتاب مشهود بها ، وأخذه للقارىء ملموس ، وصداه فى الشرق والغرب لا يحتاج الى بيان • وبعد مضى مائة عام من تأليفه ، رأى ابن رشد من واجبه ، دفاعا

عن الفلسفة ، أن يرد عليه فى كتابه « تهافت التهافت » . ولا شك فى أن الغزالى فى « تهافته » أكثر أصالة ، وأوضح شخصية ، وأعظم تحررا .

و « المنقذ من الضلال » ، وهو من آخر ما ألف ، كتاب فلسفى وان انتقد فيه المتكلمين ورد على الفلاسفة والباطنية . ولقد جمع هؤلاء فى سلك واحد ، لانهم يعولون وان اختلفوا على المعرفة العقلية ، وهو انما يعتد بالمعرفة الذوقية . فاليقين الحق والايمان الصادق ما انبعث من القلب وأملته الروح ، وبذا تطمئن اليه النفس وترضى عنه ، بل وتبتهج به وتغتبط له . ففى « المنقذ » اذن نظرية غزالية مكتملة للمعرفة ، شك على نحو ديكارت ليصل الى اليقين ، على أن شكه لم يمتد الى الحقائق جميعها ، وهناك حقائق ثلاث لم يتزعزع ايمانه بها قط ، ألا وهى وجود الله ، نبوة محمد ، اليوم الآخر . والمعرفة الروحية فى رأيه مباشرة تنبعث من القلب ، نور من نور ، فهى أسمى مراتب اليقين .

والآن نستطيع أن نقرر أن للغزالى فلسفة ، وأن فلسفته دينية تقول باله قادر عالم فعال لما يريد . خلق العالم بقدرته ، فليس ثمة مادة ولا زمان قديمان . وسيَّر الكون على حسب ارادته ، دون حاجة الى عقول أو نفوس فلكية على نحو ما تصور الفلاسـفة والاسماعيلية . وشاء لخلقه الصلاح والهداية ، فأرسل اليهم رسلا من أنفسهم ، يستمدون الوحى منه ويصدرون عن تعاليمه . « وما محمد الا رسول قد خلت من قبل الرسل » ، بلَّغ الامانة وأدى الرسالة ، وعلينا أن نستمسك بها ونسير على هديها . ولا حاجة بنا الى تبليغ جديد ، ولا الى إمام معصوم تتلقى عنه كمـا ذهب الباطنية التعليمية . ومع هذا لم يوصد الغزالى باب الفيض والالهام ، وان وقف به عند مرتبة دون مرتبة النبوة ، وقصره على الاولياء والعارفين .

ولا غرابة فى أن يكون للغزالى فلسفة دينية ، فهناك فلسفات دينية متلاحقة فى التاريخ قديمه ومتوسطه وحديثه . ولا ضير فى أن يغذيها بما

يلائمها من آراء وتعاليم أخرى ، سواء أكانت اسلامية أم غير اسلامية • ولا تناقض فى أن يأخذ عن الفلاسفة أشياء ويرفض أخرى ، ولا محل لان يكون فى هذا اخلاص أو رياء •

ومن حقه أن ينقد ما يشاء كما يشاء • فما منا الا راد ورد عليه الا صاحب القبر هذا ، قالها مالك بن أنس وهو يحدث فى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم • أما أن يتحول النقد الى رمى بالكفر أو الزندقة ، فهذا قد لا يتَّفق مع الغزالى عليه ، وقد رمى هو نفسه بما رمى غيره حين وصل بعض كتبه الى الاندلس إبان حياته •

وأغلب الظن أن الظروف السياسية المحيطة به والتى أشرنا اليها من قبل هى التى دفعته الى شىء من هذا ، وذلك أن الباطنية التعليمية ، وهم أنصاف فلاسفة ، أسرفوا فى استخدام العلم والفلسفة فى دعوتهم السياسية ، وكأنما أريد تحريم ذلك سداً للذرائع • ويظهر أن الغزالى المصلح الاجتماعى أحس لدى العامة ببلبلة فى الافكار وانصرافا عن تعاليم الدين ، فهناك من يستبيح المحرمات ، ومن يتحلل من العبادات ، وهناك الاباحى الذى لا يلتزم بمبدأ أو دين ، والشاك الذى ينكر الله واليوم الآخر • وخيل الى الغزالى أنه يستطيع مع وزيره وصديقه نظام الملك عن طريق المدارس النظامية المنتشرة فى الدولة السلجوقية أن يعود بالامور الى نصابها ، ولكن لم يلبث الوزير والمعين أن قتل غدراً •

وأعتقد أن هذا فت نوعا فى عضد مصلحنا ، فاتجه نحو طريق آخر للاصلاح والتقويم ، ألا وهو طريق الزهد والعبادة والخلوة والاعتكاف • ولعل فى هذا ما يفسر شيئا من التطور الذى مر به تفكير الغزالى فى السبع عشر سنة الاخيرة من حياته • فاتجه نحو سبيل أخرى من سبيل البحث عن الحقيقة ، ألا وهى الكشف والذوق الى جانب المعرفة العقلية والنقلية • ولا

أدل على هذا من أنه وضع « المستصفى » قبيل وفاته بعامين أو يزيد قليلا ، وهو كتاب تشريع وضعى ، فى الوقت الذى كتب فيه « الدرة الفاخرة فى كشف علوم الآخرة » .

هذه بعض معالم الفكر عند الغزالى ، فيها ما يعين على ربط نواحيه بعضها ببعض ، وما يفسر ما قد يبدو من تعارض أو تناقض فى آرائه . والشخصيات العريضة فيها عادة مركز إشعاع يجلّى ما قد يكتنف جوانبها من غموض أو ظلام .

كلمـة ختـــامية

هذه رحلة ثقافية أمضيناها مع أبى حامد محمد الغزالى ، فتعرفنا على حياته ونشأته وتطلعنـا الى عصـره المزدحم بشتى الطوائف والحركات ، وتعرفنا على حياته فى بغداد ، وتنقله فى البلاد الاسلامية ، وظهور الشك كمبدأ فعال فى حياته ، ثم نزوعه الى العزلة ، وهجومه الكبير على الفلاسفة أجمعين •

ان الغزالى كشخصية ثقافية تبوأت مركزا مهما فى الحياة التدريسية الاسلامية ، وكان لها أثرها الكبير فى توجيه التربية والتعليم ، فكان حرياً بنا أن نتفهم آراءه ومبادئه التربوية ، ومن ثم حاولنا بيان مدى تأثير الغزالى فى الفكر الاسلامى ، وقدمنا أهم تآليفه والتى باعتقادنا انها التراث العلمى الخالد لابى حامد الغزالى •

انتى اذ أختتم مؤلفى هذا لا يسعنى الا أن أقدم الشكر الجزيل والامتنان العظيم لكل انسان أفادنى وبذل النصح والتوجيه لى فى منهجى وطريقتى ، وأخص بالذكر منهم أساتذتى الافاضل المحترمين ، الدكتور محمد الهاشمى رئيس قسـم التاريخ فى كلية التربية بجـامعة بغداد ، والدكتور على سامى النشار ، استاذ الفلسفة الاسلامية فى جامعة الاسكندرية، والدكتور أحمد فؤاد الاهوانى استاذ الفلسفة الاسلامية فى جامعة القاهرة ، والاخ الدكتور صفـاء خلوصى استاذ الادب العربى فى جـامعة بغداد ، أدعو الله أن يحفظهم ذخرا للعلم وكنزا للمعرفة •

وختاما وقفة اجلال واحترام للعالم الاسلامى الفذ أبى حامد محمد الغزالى ، ورحمة وغفرانا من الله تعالى على ما قدّم للامة الاسلامية من كبير العلم وبديع النهج واصول البحث •

والسلام •

المـراجع العـــربية

ابن الاثير : ابو الحسن على بن محمد بن عبدالكريم الشيبانى ٠ ت ٦٣٠هـ
١ ـ الكامل فى التاريخ/مطبعة الاستقامة/مصر سنة ١٣٥٣هـ
٢ ـ اللباب فى معرفة الانساب/نشر دار القدس/١٣٥٧هـ

أحمد أمين : الاستاذ احمد امين/ت ١٩٥٦م
٣ ـ ضحى الاسلام/مطبعة لجنة التأليف والترجمة/القاهرة/١٩٣٦م

بدوى : الدكتور عبدالرحمن بدوى
٤ ـ مؤلفات الغزالى/القاهرة ١٩٦١م

الجامى : عبدالرحمن الجامى ت/٨٩٨هـ
٥ ـ نفحات الأنس ـ مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٩٧٩٥

ابن الجوزى : جمال‌الدين ابو الفرج عبدالرحمن بن على/ت ٥٩٧هـ
٦ ـ المنتظم فى اخبار الامم ـ حيدر آباد الدكن سنة ١٣٥٣هـ

حاجى خليفة : مصطفى كاتب جلبى/ت ١٠٦٧هـ
٧ ـ كشف الظنون/طبعة ليبسك سنة ١٨٣٥ـ١٨٥٨م

حسن ابراهيم : الدكتور حسن ابراهيم
٨ ـ الفاطميون فى مصر/القاهرة ١٩٣٢

ابن خلدون : عبدالرحمن بن محمد بن محمد/ت ٨٠٦هـ
٩ ـ المقدمة/طبع بولاق ١٢٨٤هـ

ابن خلكان : شمس‌الدين ابو العباس احمد بن ابى بكر الشامى/ت ٦٨١هـ
١٠ـ وفيات الاعيان/طبع بولاق ١٢٨٣هـ

دى بور : الاستاذ ت.ج دى بور
١١ـ تاريخ الفلسفة فى الاسلام/ترجمة الاستاذ محمد عبدالهادى
ابو ريدة مطبعة لجنة التأليف والترجمة ١٩٥٧م

الذهبى : شمس‌الدين محمد بن احمد بن عثمان/ت ٧٤٨هـ
١٢ـ سير اعلام النبلاء مخطوط بدار الكتب المصرية برقم١٢١٩٥ح

الرفاعى : الاستاذ احمد فريد الرفاعى
١٣ـ الغزالى/القاهرة مطبعة عيسى البابى الحلبى/١٩٣٦م

زكى مبارك : الدكتور زكى مبارك/ت ١٩٥٢م
١٤ـ الاخلاق عند الغزالى/الرسالة التى نال بها درجة الدكتوراه

سبط بن الجوزى : ابو المظفر شمس‌الدين يوسف بن قز اوغلى/ت ٦٥٤هـ
١٥ـ مرآة الزمان/نسخة خطية مصورة بدار الكتب المصرية ،
رقمها ٥٥١ تاريخ

السبكى : تاج‌الدين ابو نصر عبدالوهاب/ت ٨٧٩هـ
١٦ـ طبقات الشافعية الكبرى/المطبعة الحسينية بالقاهرةسنة١١٢٩هـ

سليمان دنيا : الاستاذ سليمان دنيا

١٧- الحقيقة فى نظر الغزالى/القاهرة ١٩٤٧

الطرطوشى : ابو بكر محمد بن الوليد الاندلسى/ت ٥٢٠هـ

١٨- سراج الملوك/المطبعة الخيرية ١٣٠٦هـ

ابن عبدالحق : ابو الفضايل صفىالدين عبدالمؤمن/ت ٧٣٩هـ

١٩- مراصد الاطلاع/ليدن ١٨٥٠م

ابن عربى : ابو بكر محمد بن عبدالله/ت ٥٤٣هـ

٢٠- القواصم والمواصم/مخطوط بدار الكتب المصرية ، طبع الكتاب بتحقيق الاستاذ محبالدين الخطيب

ابن عساكر : على بن الحسن ت ٥٧١هـ

٢١- تبين كذب المفترى فيما نسب الى الامام الاشعرى . طبع بدمشق سنة ١٣٤٧هـ

ابو العطا : الدكتور عبدالدايم ابو العطا البقرى

٢٢- تفكير الغزالى الفلسفى طبع القاهرة ١٩٤٠

٢٣- اعترافات الغزالى طبع القاهرة ١٩٤٣

العماد : ابو الفلاح بن العماد الحنبلى/ت ١٠٨٩هـ

٢٤- شذرات الذهب في اخبار من ذهب/طبع مصر سنة ١٣٥٠هـ

العينى : محمود بن احمد/ت ٨٥٥هـ
٢٥ـ عقد الجمان/مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ١٥٨٤

الغزالى : محمد بن محمد ، ابو حامد/ت ٥٠٥هـ
٢٦ـ إحياء علوم الدين/القاهرة ١٣٠٦هـ
٢٧ـ المنقذ من الضلال/بيروت ١٩٥٩م
٢٨ـ كيمياء السعادة/مطبعة عطايا بباب الخلق/القاهرة
٢٩ـ ايها الولد/بيروت ١٩٥٩م
٣٠ـ الجام العوام/القاهرة ١٣٠٦هـ
٣١ـ تهافت الفلاسفة/المطبعة الكاثوليكية/بيروت ١٩٢٧
٣٢ـ القواعد العشرة/القاهرة مطبعة عطايا بباب الخلق
٣٣ـ مقاصد الفلاسفة/مطبعة السعادة مصر
٣٤ـ منهاج العابدين/القاهرة ١٣٥١
٣٥ـ المستصفى/المطبعة الاميرة ببولاق ١٣٢٢هـ

ابن قاضى شهبة : القاضى تقى الدين بكر بن احمد/ ٨٥١هـ
٣٦ـ طبقات الشافعية مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ١٥٩٨

ابن كثير : الحافظ عمادالدين ابو الفدا اسماعيل بن عمر القرشى/ت٧٧٤هـ
٣٧ـ البداية والنهاية/مطبعة كردستان العلمية/القاهرة ١٣٤٨هـ

كريم عزقول : الاستاذ كريم عزقول
٣٨ـ العقل فى الاسلام/بيروت ١٩٤٦

محمد غلاب : الدكتور محمد غلاب
٣٩- التصوف المقارن/مطبعة النهضة/القاهرة

محمد لطفى : الاستاذ محمد لطفى جمعة

٤٠- تاريخ فلاسفة الاسلام/مطبعة المعارف ١٩٢٧ القاهرة

ابن الملقن : ابو حفص عمر بن ابى الحسن/ت ٨٠٤هـ
٤١- العقد المذهب فى طبقات حملة المذهب/مخطوط بدارالكتب المصرية برقم ٥٧٩ تاريخ

النشار : الدكتور على سامى النشار
٤٢- مناهج البحث عند مفكرى الاسلام - نشر دار الفكرالعربى ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م

النووى : يحى بن شرف بن مرى ، محىالدين ت ٦٧٦هـ
٤٣- الطبقات/مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٢٠٢١

اليافعى : عبدالله اسعد بن على/ت ٧٦٨هـ
٤٤- مرآة الجنان وعبرة اليقظان/طبع حيدر آباد الدكن١٣٣٧هـ /ونسخة خطية بدار الكتب المصرية

يوحنا قمير : الاستاذ يوحنا قمير
٤٥- الغزالى/المطبعة الكاثوليكية/بيروت

يوسف سركيس : الاستاذ يوسف الياس سركيس/ت ١٩٣٢م

المـــراجع الاجنبيـــة

1) Barthold : Muslim Culture.

2) Browne : Aliterary History of Persia London 1906

3) Hitti : The History of the Arabs London 1949

4) O' Leary : Arabic thought and its Place in hietory.

5) Pukhsh : A short History of Islamic civilisation, calcutta 1905.

6) Thomas Arnold : The Legacy of Islam, London 1949.

7) Encyclopedia of Islam : Al-Ghazali

الفهـــارس

الاعـــلام

الامكنة والبقاع

– ن –

– هـ –

– و –

اسماء الكتب التي ورد ذكرها في الكتاب

– و –

– ن –

– ى –

AL-GHAZZALI

AS

The Jurist, Philosopher and Mystic

BY

HUSSAIN AMIN

B.A., M.A., PH.D. (ALEX)

Lecturer in Islamic History,
College of Education,
University of Baghdad.

AL-Irshad Press, 1383 A.H./1963 A.D.